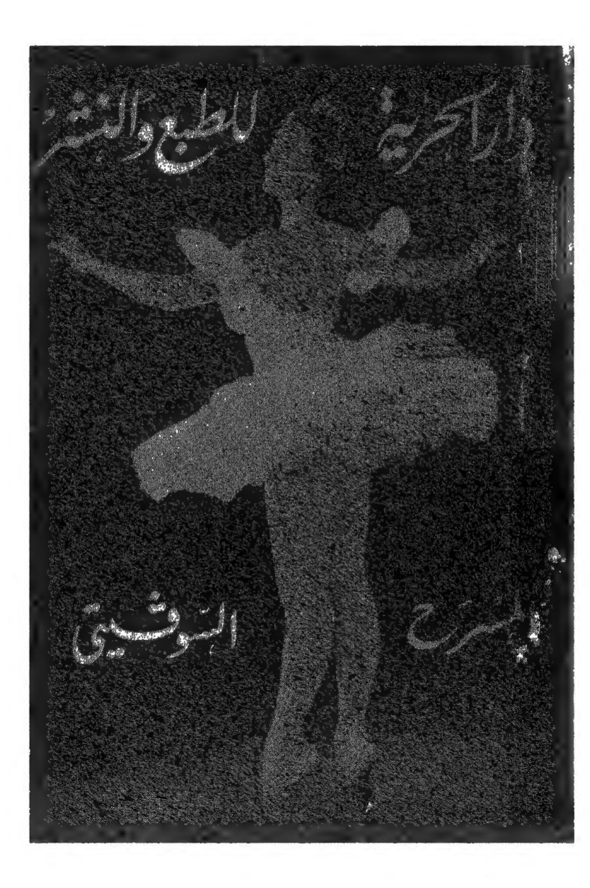

دار الحرية للطبع والنشر
المسرح الموسيقي

اهداءات ٢٠٠٣

الفنان / إلهامي حسن

القاهرة

المسرح السوفيتي

دار الحرية للطبع والنشر

المعرفة فى خدمه القوة

المسرح السوفيتي

تاليف

جينادى أوسيبوف

ترجمـــة

محمـــود الكبير

الطبعة الأولى ديسمبر ١٩٥٥

تقديم

إلى الرأى العام

نحن نقدم هذا الكتاب — المسرح السوفيتى — باكورة إنتاج دار الحرية للطبع والنشر.

والكتاب وحده سيقدم نفسه إلى الرأى العام.

ولكن الصرح الجديد، الذى ما زال فى المهد، هو الذى يقدم نفسه إلى الرأى العام، بعد أن قدم هو إليه المسرح السوفيتى.

إن شعارنا هو مبدؤنا . .

وشعارنا هو « المعرفة فى خدمة القوة ».

ولا شىء فى هذا العالم أقوى من القوة . .

إنها هى التى تستطيع فرض كل شىء والحصول على كل حق مسلوب.

إنها تملى ولا تتضرع . .

وتأخذ الحق قسراً ، ولا تستجديه . .

وهى بهـــذه الصورة التى نفهمها حامية للحق ، وحارسة للكرامة ، وقلعة تحيط الحرية بسياج منيع . .

ولهذا يجب أن تتجه دولتنا الفتية فى ميادينها العامة ، داخل أرض الوطن وخارجه . .

ونحو هذا الهدف يجب أن يعمل كل فرد ، وكل أسرة اجتماعية .

ونحو الحصول على هذه القوة ، يجب أن تتجه كل العقول ، وكل الأفكار ، وكل المشروعات الخاصة والعامة . .

وليس أقوى على تحقيق القوة من المعرفة ، فى شتى فروعها واتجاهاتها . .

إنا لا نحب أن نطلب المعرفة لذاتها . .

ولـكننا نريدها من أجل هذا الهدف . . القوة . .

إن المعرفة إذا كانت فى خدمة القوة ، أصبحت العقول القوية قادرة على تسخيرها من أجل السلام . .

دار الحرية للطبع والنشر



حفلة موسيقى استعراضية لهواة الفن من الريفيين أقيمت فى مسرح بولشوى

الفصل الأول

ماهى جوانب الفن الأساسية التى يتميز بها المسرح السوفيتى ؟ .

هذا هو أول سؤال يطرحه عادة الأجانب الذين يفدون إلى روسيا ممن يعشقون المسرح و يهتمون به .

وتتطلب الإجابة على هذا السؤال أن يعدد الإنسان برامج المسرح السوفيتى ومناهجه الفنية والأسس التى قام عليها نظامه وحقوق المتعاونين عليه والمسهمين فيه وحالتهم الاجتماعية والمادية كما لا بد للمرء من أن يستعيد إلى ذهنه هذه الكلمات التى قالها لينين فى أحد بياناته والتى سارت مسار الأمثال « الفن ملك الشعب ولا بد من أن ينبت فى محيط الطبقات العاملة الكثيرة العدد ولا مناص من أن تفهمه هذه الطبقات وأن تحبه وتتعلق به وخليق به أن يوحد مشاعرهم وأحاسيسهم كما يوحد

أفكارهم وخواطرهم وأن يشعل فى هذه الطبقات جُذَى الحماس بل لا بد مع هذا من أن يخلق منهم فنانين وأن يرقى بهم وينهض » .

ويشهد تاريخ المسرح السوفيتى كله بطريقة قاطعة بأن حكمة لينين الخالدة قد تحققت وأن تعاليمه أضحت أمراً واقعياً وحقيقة لاشك فيها .

ومنذ السنوات الاولى التى أعقبت ثورة أكتوبر ، اتخذت الحكومة السوفيتية تدابير هامة لجعل المسرح ديمقراطيا بكل ما تحتويه هذه الكلمة من معان وقد أتاح مرسوم لينين الخاص بتوحيد المسرح وإقامة المسارح المحلية لتتجاوب مع بيئتها — الفرصة للشعب لكى ينهض بالفن المسرح فى شتى فروعه بعد أن وضعت مصائره بين يدى الشعب نفسه وبهذا أصبحت المسارح كلها ملك الشعب وبعض ماله وتولت منذ ذلك التاريخ الدولة الاشتراكية إدارته والاشراف عليه .

شعب جديد

وزخرت صالات العرض بشعب جديد ، لا يمت إلى الماضى بصلة ، الشعب السوفيتى من جموع العمال والجنود والفلاحين . .

وهاك ما كتبه أحد نجوم المسرح السوفيتى اللوامع ، المخرج الكبير ، والممثل القدير ، العلامة «ك . س . ستانيسلافسكى» . فى هذا الشأن « لقد اضطلع المسرح بمهمة جديدة لا يشوبها من القديم شىء ، و بات عليه أن يفتح أبوابه لهذه الطبقات العديدة ، لهذه الملايين من أبناء الشعب ، لأولئك الذين لم يتح لهم فى الماضى أن يتذوقوا نعمة الثقافة ، وأن يستمتعوا بجمال التعليم .

وسرعان ما استبان أن هذه الجماعات الغفيرة من شعب السوفييت تحب المسرح كأن لها به عهداً طويلا ، وتتذوق الفن الذى يقدم لها كأحسن ما يتذوقه المترددون على المسرح من قديم

« ولم يأت هـذا الجمهور إلى صالات العرض ليقضى وقتاً يتسلى فيـه ويلهو أو ليضيع وقت الفراغ فى أية ملهاة بل جاءه بشعور عميق ولهفة وارتقاب فى أن يشهد شيئاً هاماً لا عهد له به من قبل بل لقـد أحس إحساساً بأن بينه و بين الممثلين شعوراً متجاو با كله عطف وكله تقدير » .

إن هذا الكلام قد قيل فى عام ١٩٢٦ وقرأه الناس يومئـذ ولكن مستوى الشعب الثقافى قد ارتقى رقيا كبيراً منـــذ ذلك التاريخ واشتد تعلقه بالفن و بالجمال وزاد تذوقه للمسرح عاما بعد عام وأضحى نحو ثلاثين ألف متفرج يملؤون كل مساء صالات إثنين وعشرين مسرحاً فى موسكو ، و بلغ عدد رواد المسارح فى العام سـبعين مليونا من أبناء الشعب السوفيتى . وصار من المألوف أن نشاهد قطارات الضواحى الخاصة ومئات من سيارات الأوتبيس التى تنقل إلى مسارح العاصمة الوافـــدين عليها من مناطق العمال والفلاحين والسائقين وعمال الجرارات .

ولم يعد مما يثير الدهشة أن نرى أعظم مسارحنا كمسرح بولشوى الكبير فى موسكو ومسرح الفن ، ومسرح مالاى ومسرح فاختنا نجوف فى العاصمة السوفييتية ومسرح بوشكين فى لينتجراد والفرق الأخرى المشهورة فى الاتحاد السوفيتى تجوب المدن والقرى وتوفد فنانيها إلى مناطق تبعد مئات الكيلومترات ، إلى الأراضى البكر فى كازاخستان وسيبيريا لتقدم فنون المسرح ولتعرض مشاهده على عمال « سوفخوس » ومحطات الآلات ومصانع الجرارات .

وليس فى الوسع أن نحصى الملايين الذين يشتركون بطريقة رتيبة فى المشاهد الجديدة والمسرحيات المستحدثة التى تقدمها أحسن المسارح السوفيتية بفضل إذاعات الراديو والتلفزيون المسرحية .

ولقد شمل حب المسرح الشعب كله وأضحى الملايين يشتركون فى المهرجانات الفنية التى ينظمها الهواة من العمال ، والمفكرون من أهل كولخوزيان . ففى كل مصنع فرق للتمثيل والموسيقى

ولكل قرية مغنوها وموسيقيوها وفيها فرق الراقصين والممثلين المزليين .

وخلق الشعب بفطرته الفنية فى كل مكان منظمات فنية ، ونوادى لهواة الفن الدرامى وقد أخذت هذه وتلك تزيد وتطرد فى غير انقطاع .

وتضم بلدان السوفييت أكثر من مائة ألف هيئة فنية لهواة الفن الدرامى وهذه تنتظم مليونا ونصف مليون من عشاق المسرح والمتحمسين له .

والدولة السوفيتية — رغبة منها فى اشباع رغبات الشعب المتزايدة فى الاغتراف من مناهل الفن الصافية — تعنى دأبا بالنهوض بالفن المسرحى وتيسر السبيل لبث المسارح فى كل بقعة قريبة أو نائية لتغلغل الفن فى كل مكان ، حتى فى المناطق القديمة الواقعة فى روسيا القيصرية . . .

وقد حدث عقب الثورة الاشتراكية التى عرفت بثورة اكتوبر أن أنشئت مسارح جديدة وكان الفضل فى إنشائها

لما كسيم جوركى وستانيسلافسكي ونيميروفيتش ودانتشنكو وأوجين فاختانجوف وغيرهم . ولقد أحرزت هذه المسارح نجاحا شعبيا كبيراً وأقبلت عليها جماهير النظارة فى لهفة وإعجاب شديدين .

ولنذكر على سبيل المثال مسرح جوركى الدرامى الكبير فى لينجراد ومسرح ستانيسلافسكى الفنانى ومسرح نيمير وفيتش — دانتشنكو فى موسكو ومسارح فاختانجوف ومسارح فاختانجوف ومايا كوفسكى وموسوفيت ورامولوفا . وكلها فى العاصمة السوفيتية كما نذكر على سبيل المثال المسارح الكوميدية فى لينجراد ومسرح نوفوسيبيرسك « كراسنى فاكل » ومسارح الأوبرا والبالية فى جوركى ونوفوسيبرسك ومسارح الكوميديا الغنائية فى سفيرولوفسك وتشخالوف و ايفانوف .

والظاهرة التى تبعث على العجب والإعجاب معاً هى السرعة

الفائقة فى انتشار المسارح فى مناطق الصناعة ومراكزها فى البلاد ، كالأورال وسيبيريا وحوض نهر الدونيتس .

و بينما لم يكن فى الأورال قبل ثورة اكتوبر إلا ثلاثة مسارح فقد أصبح بها اليوم ثلاثون مسرحاً . أما مراكز الصناعة فى مناطق سيفردلوفسك ومولوتوف وتشالوف وتشيليابنسك وقورجان فتضم مسرحين للأوبرا والباليه ومسرحين للكوميديا الغنائية وتسعة عشر مسرحاً للتمثيل الدرامى ، ومسرحاً للمتفرجين من الشباب وستة مسارح للأراجوز » .

وثمة مثال آخر لا يقل فى مغزاه ومرماه عن سابقه فإن منطقة جديدة قد فصلت من حيث الإدارة عن أراضى سيبريا الغربية منذ وقت وتعنى بها منطقة كيميروفود التى تعد مركزاً لمناطق الفحم فى كوز نيتيك .

وقبل ثورة اكتوبر لم يكن هناك مسرح واحد للمحترفين من رجال هذه المهنة فى جميع أراضى منطقة كيميروفا الحالية بينما انشىء

فيها الآن ثلاثة مسارح للتمثيل الدرامى ، ومسرح للكوميدى الغنائية ومسرح هزلى فى المنطقة التى يقطنها عمال المناجم وعمال التعدين والكيميائيين والكهربائيين .

وقد أصبح الفن المسرحى هوية جميع طبقات الشعب وطوائفه . وكان من أعجب العجب قبل أن يتسلم السوفيتى مقاليد الحكم ألا يجد مائة مليون فلاح روسى فى الأمبراطورية الروسية جميعها مسرحاً واحداً للمحترفين يتذوقون فيه لذة الفن المسرحى ويجدون فيه ما ينشط حياتهم وعقولهم . أما اليوم فقد استطاع اتحاد الزراع الذى رفع مستوى الريف المادى والثقافى من أن ينهض نهوضاً جباراً بمسرح القرية . ففى كولكوز وسوفخوز . . مائة مسرح متجول . وبات فى وسع ملايين الفلاحين أن يشهدوا التمثيل فى مراكز الثقافة الريفية وفى الأندية القروية بل بات فى استطاعتهم أن يختلفوا إلى ملاعب تمثيلية فى الحقول .

وفى عام ١٩٢٠ انشئت فى موسكو و بيتروجراد مسارح خاصة بالأطفال ، وأخرى يختلف إليها الشباب — ولعلها أولى هذه المسارح فى العالم ، وكان نجاح هذه المسارح القروية الفريدة فى نوعها حافزاً للسوفيت على الاكثار منها فأنشأوا عدداً كبيراً منها فى ثلاثين مدينة سوفيتية . .

وزخرت ملاعب «الإرجواز» بملايين من التلاميذ الصغار من مختلفى الأعمار وفيهـا يتذوقون خير ما أنتجته قرائح المؤلفين القدامى والمحدثين فى روسيا وفى غيرها من بلدان العالم .

مسارح الجيش والبحرية

ولا سبيل لك فى الوقوف على مدى نهضة المسرح السوفيتى بغير أن نذكر أيضا مسارح الجيش والبحرية ومسارح عمال السكك الحديدية التى بدأت فرادى وانتهت بكثرة ملحوظة فى الاتحاد السوفيتى .



الممثلة الروسية القديرة جالينا أولانوفا الحائزة على جائزة ستالين فى دور
جوليت أمام الممثل الكبير يورى زدانوف الذى مثل دور « روميو »
فى باليه « روميو وجولييت » للفنان العظيم س . بروكوفيف

ويبدو عمل هذه المسارح نافعاً وعظيماً وحسبك أن تعلم أن التمثيل يجرى أمام وحدات الجيش على قطع من الأسطول وأمام عمال النقل الحديدى حيث كانوا فى بيئاتهم .

ولا بدلنامن أن نبرز خاصة أخرى أصيلة عن المسرح السوفيتى فهو مسرح يصور الكثيرمن الجنسيات والقوميات ويوائم رغباتها. وقبل ثورة ١٩١٧ الكبرى ما كان أصحاب مئات من الجنسيات والقوميات الكبيرة والصغيرة ممن كانوايقطنون روسيا القيصرية ليعرفوا شيئا عن المسرح حتى شعوب القوقاز واوز بك وكيرجنس وتادجيك والتركمان اولئك الذين يؤلفون اليوم سكان خمس جمهوريات فيدرالية لها تقاليدها وعاداتها — ما كانوا ليجدوا مسرحاً قومياً واحداً قبل حكم السوفيت واليوم تسهم كل أمة بنصيبها فى هذا الجهد المشترك للنهوض بالمسرح السوفيتى بأن تخلق موسيقاها الخاصة وفنها الدرامى الخاص وأن تعد ممثليها ومخرجيها الفنيين .

وقد أسست مسارح محلية عظيمة أو أعيد انشاؤها فى خلال السنوات العشر التى أعقبت الحرب منهـا مسرحا فاختنا بخوف وموسيفييت فى موسكو ومسارح الاو برا والباليه فى نوفوروسيسك وفيلنوس وطشقند ومسارح الفن الدرامى فى ستالينجراد وفورونج وسمولنسك و بريانسك وتشكالوف وكراسنودر واوريل .

وفى الاتحاد السوفيتى اليوم أكثر من خمسمائة مسرح منها ثلاثون مسرحاً للاوبرا والباليه وأكثر من عشرين للكوميدية الغنائية وثلاثون من مسارح الشباب . وتمتد شبكة الفن المسرحى من اوجورود الكرابات الى ساخالينك التى تقع فى منطقة الباسيفيكى الجنوبية ومن نوكوس فى منطقة بامير الى نورليسك التى تقع فى المنطقة القطبية . ولكى تكون فكرة عن هذه المسافات الشاسعة التى يغمرها المسرح السوفيتى نذكر لك انه عند ما تكون الساعة الثامنة مساء السبت فى فلاديفستك وقد بدأت حفلة السواريه فى مسرح اقليم ماريتيم يكون الوقت ظهرا على الحدود الغربية عند بربست

مثلا و يكون الستار قـد رفع على منظر من صباح يوم الأحد فى مسرح كومزومول فى روسيا البيضاء .

غير أنه على الرغم من كثرة عدد المسارح فانها لا تزال غير كافية لإشباع رغبات الشعب الحسية ونزوعه إلى تذوق أطايب الفن والجمال وهذان عاملان يزدادان يوماً بعد يوم عند الشعب السوفيتى ، وفى كل عام تقوم عشرات الفرق المسرحية برحلات فنية طويلة الأمد فى المراكز الصناعية الـكبرى وفى المناطق السحيقة فى البلاد لتمثـل أمام ملايين جدد من المشاهدين الذين لا يقنعون فى كل مـكان بأن يكونوا ضيوفاً يُلقون بالترحيب بل أنهم يذهبون الى المسرح وكأنهم نقاد لا يعرفون تسامحاً أو يغضون عن زلة . أنهم يريدون أن يشهدوا على المسرح أمجاد الشعب و بطولاته وهم يطالبون من القوامين على المسرح أن يقدموا لهم فى لباقة و بلاغة صوراً حية لشتى النواحى فى حياة الملايين من سواد الشعب وعامته وصوراً من كفاح هؤلاء فى عملهم وأحاسيسهم الوطنية وماتنطوى عليهم

قلوبهم من نبل وجمال روحى . اذهب وشاهد مؤتمراً يعقده النظارة فى دار الفن التابعة للجمعية المسرحية فى روسيا أو إلى الدار المركزية للممثلين أو إلى أى مسرح اقليمى فسوف تسمع أبناء السوفيت العاديين ، عمالا أو مهندسين أو أطباء أو معلمين أو طلاباً يناقشون فى جد وقسوة برنامج المسرح وستسمع حوارهم الحاد ونقاشهم العنيف وتصغى إلى تحليلهم الدقيق لفن الممثلين والمخرجين وستستمع إلى مقترحاتهم القيمة المفيدة التى يقدمونها للهيئات الفنية والقوامين عليها .

ويصغى رجال المسرح السوفيتى الذى وضع لخدمة الشعب فى انتباه واهتمام إلى صوت العمال العاديين فى المدن وفى القرى .

والمسرح السوفيتى بوصفه القاضى الذى لا يعرف الهوى والمعلم البصير الحاذق وخادم الشعب ومحاميه الذائد عنه يحرص دائماً على أن يؤكد فى كل مناسبة وفى صراحة وحزم أفكار السلام.

الفصل الثانى

برنامج المسرح

كيف يتاح للمسرح السوفيتى أن يتم مهمته الأساسية ؟

كيف يعين الشعب على النهوض؟ وكيف يخدمه؟ وتتطلب الاجابة على هذا السؤال معرفة ماتشاهده ملايين النظارة على المسرح

ان برنامج المسرح السوفيتى ، وتنوع موضوعاته وأنواع المسرحيات والقطع الفنية التى تعرض فيه ، انما تحدد كل أولئك رغبات الشعب الثقافية ومقدار تعلقه المتزايد بالجمال كما تحدده أذواق الجماهير الفنية . ان لأبناء السوفيت أهدافا شتى يريدون أن يحققها المسرح لهم : انهم يريدون أن يشاهدوا على المسرح حاضر الوطن الذى يعيشون فيه وماضيه الذى كان يعيش فى ظله آباؤهم وأجدادهم ، ويريدون مع هذا أيضا أن يعرف حياة الشعوب الأخرى وطرق تطور البشرية ونهوضها .

إنهم يريدون الاغتراف من مناهل الثقافة العالمية ، يريدون تذوق آداب الشعوب الأخرى وفنونها . وتصور برامج المسرح السوفيتي هذه الرغبات بما تقدمه لجمهور المشاهدين . وتتضمن إعلانات المسارح مئات من عيون المسرحيات الدرامية والاوبرات والباليه والكوميديات الغنائيه الكلاسيكية التي تتخلل برامج المسرح إلى جانب ما انتجته قرائح المؤلفين المعاصرين منها .

وفي وسع رواد المسرح السوفيتي أن يشاهدوا درامات وموسيقى سوفيتية بحته كما يتاح لهم أن يشاهدوا تراجيديا يونانية قديمة لسوفوكليس في الوقت الذي يستطيعون فيه أن ينعموا بآيات الفن الأمريكي الحديث من كتاب أميركا المعاصرين أمثال . هـ. فاست و . جاو وأوسو وهلمان كما يتيسر لهم مشاهدة قصة من من الأدب الصيني القديم كتبها « وانج شيه – فو » ودراما معاصرة من الأدب الانجليزي للأديب ما كول . وهل تشق عليهم مشاهدة بدائع الأدب الروماني الكلاسيكي أو روائع

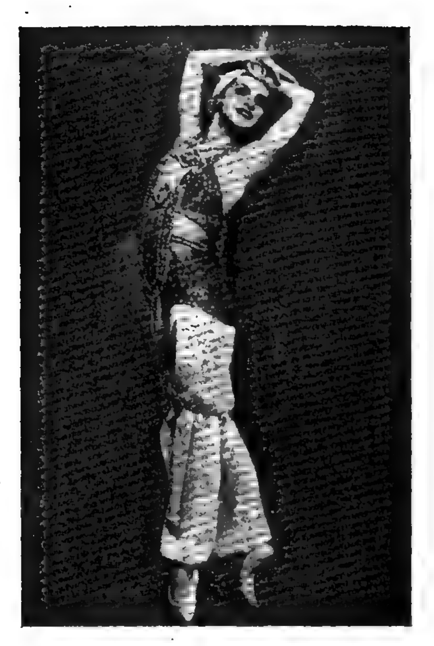
المسرحيات الشعرية التي يضعها الكاتب التشيكي المعاصر «تيل» وربما عنّ لهم أن يشهدوا إذا شاءوا مسرحيــة لفولتير أغفلتها مسارح العالم بغير حق، فرد اليها حقها مسرح السوفيت . . . . وآخرون في وسعهم أن ينعموا بدرامات الكاتب البلغاري المعاصر « فاسبليف » .

إن برامج المسرح الســوفيتي لا تترك لونا من ألوان الفن المسرحي إلا قدمته لمشاهديها فما من درامة شـعبية تفيض وطنية وبطولة وحادث تاريخي له مغزاه وأثره ولا مسرحية نفسية أو كوميديا أخلاقية، ولا أخرى فيها تحليل ودراسة للشخصيات ولا فودفيل أو قطعة ملئت سخراً لاذعاً، ولا مسرحية استعراضية، ولا شيء مما تتعطش اليه أذواق طوائف الشعب المختلفة إلا عرضه المسرح السوفيتي وجلاّه وفصّله تفصيلاً .

ولا تفوت المسرح السوفيتي العناية بتقديم الاوبرا والاوبريت والـكوميديات الغنائية والباليه الروسي والأجنبي على نطاق واسع وهذه بعض الأرقام التي تعطيك فكرة عن متنوعات البرامج

المسرحية . فالمسارح الخاصة بالفن الدرامى فى الاتحاد السوفيتى تقـدم كل عام أكثر من مائتى مسرحية درامية من الأدب الروسى المعاصر ، وأكثر من ثلاثمائة مسرحية للكتاب المعاصرين فى جمهوريات روسيا الفيدرالية أوالمتمتعة بالحكم الذاتى . وأكثر من مائة قطعة من الأدب الروسى الكلاسيكى ، ونحواً من مائة قطعة كلاسيكيه لكتاب شعوب روسيا الأخرى وأكثر من مائة مسرحية كلاسيكيه وحديثة لكتاب غير سوفيتين .

ومن هذه الأرقام يتضح أن المسرح السوفيتى يضع الأدب المعاصر فى المقام الأول من برامجه . وتعليل هذا أن رواد المسرح السوفيتى يترقبون أولا وقبل كل شىء أن يجيبهم المسرح إجابة سليمة وأمينة على مسائل الساعة التى تقع عليها أبصارهم وتتردد فى خواطرهم . يريدون أن يشاهدوا بطولات الأبطال وأن يروا قطعاً فنية ممتازة . أنهم يشاركون الأبطال فى انتصاراتهم و يشاطرونهم



الفنانة ألا شيلينت الحائزة على جائزة ستالية فى دور زاريما من
باليه أزافيف ، على مسرح كيروف للاوبرا والباليه بلينجراد

متاعبهم وآلامهم و يفاخرون بهم إذا حالفهم الفوز المبين ، إنهم يحاولون تقليدهم ، ومن أجل هذا حرص المسرح السوفيتى دائما على أن يتابع الحياة السوفيتية وأن يبرزها إبرازاً صادقا

وليس حل هذه المشكلة من الهنات الهينات فإن الفن الدرامى السوفيتى الحديث لم يهتد دفعة واحدة إلى الطريق السوى الذى يستطيع فيه أن يقدم صورة صحيحة للتحولات الثورية فى البلاد ولا للتطورات الفكرية والسياسية بين ملايين من جماهير الشعب .

وقد استطاع المسرح السوفيتى فى السنوات الست الأولى التي أعقبت قيام الثورة من أن يقدم للشعب عدداً من المسرحيات الممتازة التى تتناول موضوعات وثيقة الصلة بالحياة الراهنة . ومن أبدع هذه المسرحيات « القطار المصفح ١٤ — ٦٩ » الذى وضعه فسيفولود ايفانوف ومثل على مسرح الفن بموسكو و «ليو بوف ياروفايا » التى ألفها ك . بر ينيف ومثلت على مسرح

« مالى » والعاصفة لبيل بيلوتسيركوفسكى ومثلت على مسرح مجلس النقابات فى موسكو .

وكانت تسود هـذه المسرحيات ومثيلاتها نظرية بطولة الشعب وفكرة كفاح السوفيت للوصول إلى الحكم فى سـنوات الحرب الأهلية والتـدخل الأجنبى . . . كان الشعب هو البطل الأول فى هذه المسرحيات ، ولقد أحس المشاهدون فى صالات العـرض بأطيب المشاعر واستشعروا أعمق العطف وهم يشاهدون بعيونهم تصويراً قوياً للمشاعر الانسانيـة المعقدة والبحث المضنى عن الحقيقة وصـدق الأهداف ونبلها فكانوا يولون أشخاص المسرحية المؤيدين لهـذه الأفكار ، العطف السابغ والإعجاب الخالص

وقد ظهرت على الملاعب مسرحيات أخرى ممتـازة تتضمن موضوعات تاريخية و بطولات تستأهل التمجيد . . .

خذ مثلا لذلك « التراجيديا البهيجة » «عام ١٩١٩ الخالد» التى ألفها فيشنيفسكى « والأسطول المفقود » لـ ا . كورنيتشوك

و « الرجل المسلح » التى وضعها م . بوجودين و « الشرارة » « لـ . س . داديانى » وأسرة « ل . ا بو بوف » وكذلك نضرب لك مثلا بأوبرا ى شابورين وعنوانها «رجال ديسمبر» وباليه « الشبيبة » التى وضعها م . تشولاكى وغيرها من المسرحيات والأوبرات .

وها هى بعض الحقائق التى تؤكد نجاح أفضل الدرامات «السوفيتية» وتقدير جمهرة رواد المسرح لها . لقد مضى ربع قرن أو قل ثلاثين سنة منذ مثلت للمرة الأولى مسرحيات « القطار المصفح ١٤ — ٦٩ » و «الأسطول المفقود » و «الرجل المسلح» و «التراجيدا البهيجة» وفى خلال هذه المدة طافت هذه المسرحيات بملاعب البلاد تقريباً وترجمت إلى عشرات من لغات شعوب الاتحاد السوفيتى كما ترجمت إلى لغات الشعوب الأخرى

ولا تزال أعظم فرق المسرح السوفيتى تقرر لها حتى الآن مكانا مرموقا فى برامجها ومن أجل هذا يطلقون على هذه الروائع وبحق « كنوز الفن الدرامى السوفيتى »

وفى خلال هذه السنوات الثلاثين أخـذ الفن الدرامى السوفيتى يتطور رويداً رويداً نحو فكرة العصر الأساسية وهى إبراز العمل الإنشائى .

ولقـد شاهد الناس فى إعجاب وفخار على المسرح السوفيتى مفاخر مشروعات السنوات الخمس الأولى ، وشاهد العمال ورجال الفكر الحـديث فى الاتحاد السوفيتى والكولخازيين ، أبطال مسرحيـات م . بوجودين ول . ليونوف وا . كورنيتشوك وا . ار بوزوف وا . افينوجنوف ولث . سيمونوف وف . جوسييف وا . أرون

وشاهد جمهور النظارة منذ عشرين سـنة خلت مسرحية كورنيشوك الممتازة « بلاتون كريتشت » التى مثلت مئات المرات على مسرح الفن فى موسكو وفى مسارح أخرى كثيرة غيره . وأبرز المؤلف الكفاح الخالد وأظهر بطل القصـة — الجراح

كريتشت عالما انسانيا بمعنى الكلمة وصاحب مبتكرات علمية ، يناضل ويجاهد ما استطاع لإطالة الحياة الإنسانية وجعلها جميلة وسعيدة ، كما ظل مسرح الفن يمثل أكثر من عشر سنين مسرحية اكرون الشعرية التى تصور عمال البترول فى باكو وأخلاقهم المتجانسة وشجاعتهم الفائقة وثقتهم الأكيدة فى الإنسان وفى عمله الخالق واستعدادهم الاجتماعى العالى .

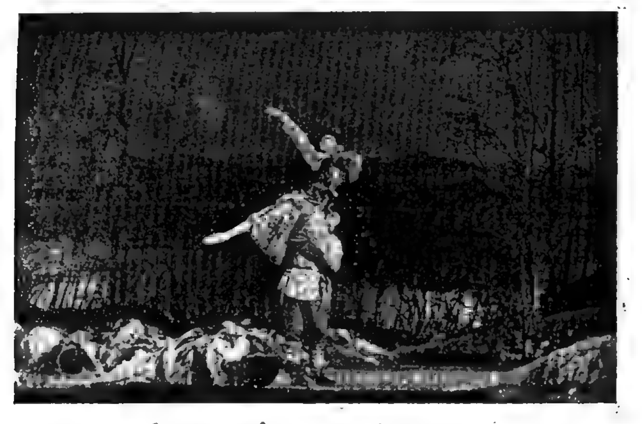
والمؤكد كذلك أن جميع مسارح الاتحاد السوفيتى تقريبا قد قدمت لروادها المسرحية الكوميدية العظيمة التى ألفها « كورنتيشوك » تحت عنوان « فى أراضى أوكرانيا البكر »

وقد تناول مؤلف هذه القصة الرائعة شخصية رئيس كولوزى من الرجعيين فندد بعقليته الآلية وخمول همتـه وخمود ذهنه ، وقدم إلى جانب هذه الشخصية الضائعـة التى كلّ عزمها وخبا شعورها — جماعات من العمال الزراعيين الذين يثيرون بجهادهم إعجاب المشاهدين

وصور تصويراً لاغلوّ فيه ولا نقص قرية «خولـكوزيان» الجديدة ومن هذا نرى أن فكرة العمل البنائى ، وإشادة صرح الاشتراكية قدأخذت مكانها وتطورت من خلال الانتاج الدرامى بعد الحرب .

ولقد أبرز مسرح « مالى » فى مشاهد مسرحية « أخلاق من موسكو » التى ألفها « ا . سوفرونوف » كيف انصهرت أخلاق السوفيتين فى ذلك الكفاح الدائب من أجل مصالح الشعب ومن أجل مصالح الدولة السوفيتية وفى المحن والتجارب التى أدت إلى دعم العلاقات الاجتماعيـة والفردية . ومن هذه المسرحية نرى كيف يتأصل الحب وتقوى الصداقة الحقة .

وتصدر مسرحية « العراء البكر الشاسع » التى ألفها ن . فينيكوف رومانتيكية الحياة اليومية والصفات الأدبية العالية التى يتحلى بها فضلاء قرية « خوكوز » كما تصورها مسرحية «القنابر



إحدى رقصات الباليه بمسرح الدولة للأوبرا والباليه بباشكير

تنفى » د . ك كرايفا وغيرهما من المسرحيات . وقد مثلت هذه المسرحيات جميعها فى عشرات المسارح فى شتى مدن الاتحاد السوفيتى وقراه ونالت إقبالا شعبياً كبيراً .

وأبطال المسرحيات الدرامية السوفيتية هم سواد الناس وعامتهم : من العمال والقرويين والمعلمين والزراع والأطباء والمهندسين ورجال العلم ، ولكل من هؤلاء حياته الخاصة وأفراحه ومتاعبه ، وآماله وحبه ، ولكل منهم محاسنه وعيوبه ، ولكل منهم عمله الطيب وعمله الردىء . وليس من قبيل المصادفة أن يعرض عدد كبير من المؤلفين السوفيتين مشكلات الحب ، والصداقة ، والأسرة والواجب الاجتماعى . على جمهور المشاهدين ليكونوا حكاماً عليها .

وهناك قصة فتاة سوفيتية بطلة مسرحة « تانيا » التى ألفها ا . اربوزوف . لقد مرت البطلة بمحن كثيرة ومنيت بفشل ذريع وخيبة أمل ولكنها استطاعت آخر الأمر أن تجتاز المحنة وأن

تصل إلى فكرة السعادة الحقيقيـة التى اقترنت فيها أهدافها الشخصية بالأغراض الاجتماعية السامية : لقد حلت عقدتها ، وانجاب ليلها البهيم لما أسفرت لها الحقيقة : ان السعادة ليست كلها فى أن تعيش لنفسك فحسب .

وهذه القطعة الفنية البديعة التى وضعت قبل الحرب العالمية الثانية لم يغفلها أى مسرح سـوفيتى فى أى وقت من الأوقات بل ظلت تمثل تباعا على المسارح جميعها وتخطت أسوار الاتحاد السوفيتى لتمثل بنجاح فى الخارج .

ومثلت مسرحيات غيرها كمسرحية «رجل عادى» التى وضعها « ليئوف » و« ماشينكان » التى ألفها ا . افينوجينوف « ومجرى طويل » لأربوزرف ، فنالت نجاحاً منقطع النظير ، ولقد تلمس المشاهدون فى هذه القطع الفنية نصيحة الصديق كيف نعيش ؟ وكيف نبنى أسرة وكيف ندعم الصداقة وكيف نعزز أواصر الحب؟

وكان أهم ما اهتم به المسرح السوفيتى وأفرد له المكان الأول

المسرحيات التى صور فيهـا مؤلفوها أمجاد الشـعب السوفيتى وبطولاته ومفاخره فى الدفاع عن الوطن .

وهناك قبل الحرب الوطنية الـكبرى ، مسرحيات ممتازة عن المحاربين من رجال الجيش السوفيتى منها « المحاربون » التى ألفها ب . بوماشوف ومنها «المجد» التى وضعها «ف .جوسيوف» . ولما نشبت الحرب بين الاتحاد السوفيتى والفاشيست كرس رجال المسرح من مؤلفين وممثلين جهودهم على انتصار قضية الوطن المشتركة ، ولقد ظهر مئات من مشاهير ممثلى المسرح والفرق الموسيقية عارضين فنونهم أمام الجنود والضباط على مقربة من خطوط القتال الأمامية بينما كانت ملاعب السوفيت الـكبرى تمثل مسرحيات مثيرة تمجد فيها بطولات الشعب السوفيتى ومواقفه الرائعة فمثلت أمام ملايين من النظارة مسرحيات « الغزو » ل . ل . لينيوف « والروس » ل ك سيمونوف «والجبهة» التى ألفها ا .كورنيشوك « والمنتصرون » التى وضعها ب تشيرسـكوف وغيرها من المسرحيات التى تثير الحماسة وتؤجج الشعور . ولقد أبرزت فى عدد

كبير من المسرحيات التى وصفت بعد الحرب فكرة الذياد عن الوطن الاشتراكى . ومن أشهر هـذه المسرحيات وأخلدها على وجه الزمن مسرحية « الحارسة الشابة » التى اقتبست من قصة ألفها ا . فاديف ومجد فيها البطولات الخالدة التى قام بها رجال المقاومة السرية فى « كرانسودون » ، ولا ننس أوبرا « اسرة تاراس » التى وضعها كاباليفسكى وصور فيها النضال الرائع الذى شنه عمال المناجم فى « دونباس » ضد المحتلين .

* * *

ويربى المسرح السوفيتى النظارة حين يهيىء لهم جواً من الوطنية السوفيتية التى تنشر اريجها الفياح، وينادي بتدعيم السلام والمحبة بين الشعوب ويعارض تهديد العالم بحرب عالمية جديدة

وكثير من المسرحيات الممتازة عالج فيها مؤلفها هذا الموضوع السامى وخاصة « المسألة الروسية » مسرحية «ك . سيمونوف» و«صوت أمريكا» التى وضعها «ب. ليفرينيف فالس ميسورى »

من وضع « ن بوجوفاين » ، « حدث أوروني » التي ألفها ا . ار بوزوف .

تلك هي النظريات الأساسية التي تقوم عليها الدراما السوفيتية

ولا شك في أن هذه الوجازة المميزة عن برامج المسرح السوفيتي في الوقت الحاضر تتيح لنا أن نؤكد أن التصوير الصادق للحياة ولعمل الشعب والتصوير الصادق لماضيه وحاضره قد جعل من المسرح السوفيتي المؤرخ الحي للبلاد والناطق بآرائها .

والمسرح السوفيتي في سبيل بلوغه هذه الغاية العظيمة وإدراكه هذا الهدف الذي لا يعادله هدف يعني عناية عظيمة بالدور التعليمي والتربوي لسواد الشعب وعامته .

وفي خلال السنوات الأولى التي أعقبت الثورة أخرجت المسارح السوفيتية عدة مسرحيات كلاسيكية من الأدب الروسي والآداب الأخرى ليتسنى لها أن تؤم الجمهور الديمقراطي الجديد .

ومما يذكر أن مسرح « مالى » قد استهل موسمه التمثيلى فى الحادى والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩١٧ بالكوميديا الخالدة التى ألفها « ا . جر بيبو يدوف » بعنوان « شفاء العقلاء »

ولقد تاح للمسرح أن يقدم تمثيلاته فى المصانع والورش وفى أندية العمال حيث عرض على نظارته الجدد روائع الانتاج الروسى من التمثيليات الكلاسيكية كتمثيلية «المراجع» لجاجول و«جنون» المال » التى وضعها ا . اوستروفسكى . ويمثل ما يخرجه المسرح الروسى اليوم من القطع الكلاسيكية الروسية والأجنبية نحواً من أربعين فى المائه من المسرحيات التى يطالع بها الشعب . وتلقى المسرحيات الكلاسيكية الروسية نجاحاً شعبياً أكيداً. وأن الشعب السوفيتى لتهتز مشاعره لما احتوته هذه الآيات الفنية من آراء إنسانية أو أفكار تحمل دعوة إلى التحرر .

وتمتاز المسرحيات الكلاسيكية الروسية بتصوير صادق للحياة ، تصويرا لا يشوبه خيال أو افتعال كما تمتاز بتوضيح

شخصيات أبطالها من الناحيتين الاجتماعية والسيكولوجية . و بإبراز الحياة الخاصة للأبطال في دقة وأمانة وفي بلاغة وعرض شعبي أخاذ .

ومن أجل هذا لم تكن هذه المسرحيات مرشداً وهادياً للمسرح السوفيتي الحديث بل كانت مع هذا وقبل هذا مدرسة للفن ذات نفع مترامى الاطراف لا حدود له .

و إن مسارح السوفيت في كل مكان لتفخر و بحق بتلك المسرحيات التي أخرجتها لمكسيم جورجي و ا . بوشكين و م . سوخوفو كو بيلين و ن . تشيرنيشفكي

ولا يفوتنا أن نذكر مع هذا إلى جانب المسرحيات التي أخرجتها مسارح السوفيت في موسكو ولينينجراد من القطع الكلاسيكية ، تلك المسرحيات البديعة التي أخرجتها المسارح الأخرى كمسرح « كراسنى فاكل » في نوفوسيبيسك وكمسرح فولكوف في ياروسلانال ومسرح كاتشالوف في قزان وكمسرح ليبي أوكرانيكا في كييف وكالمسرح الروسي في مينسك وغيرها من دور التمثيل الأخرى

ومن تصفح برامج المسرح الروسى للأوبرا والباليه نرى أن نصيب المسرحيات الكلاسيكية من هذا النوع من فنون التمثيل كان جد موفور وخاصة فى «المسرح الكبير» للاتحاد السوفيتى ففيه أكبر فرقة فى البلاد وأكثر من مائتى راقص باليه وأكثر من مائة ممثل من الممثلين الرمزيين ونحو مائتى مغن وأوركسترا سيمفونية تضم ٢٥٠ موسيقياً وأوركسترا النافخين وفى كل ليلة يملأ صالة المسرح نحو ألفين ومائة متفرج جاءوا ليشاهدوا ل م . جلينكا مؤسس الموسيقى الروسية . أوبرا «ايفان سوسانين» « وروسلان » و«لود ميلا » وليشاهدوا أوبرات أقطاب الموسيقى فى القرن التاسع عشر كاوبرا «الأمير ايجور» التى وضعها بوردرين وكاوبرا « بوريس جودونوف » و « خوفانشنينا » التى ألفها موسورجسكى وكاوبرات « سادكو » و « سكوفيتيانكا » و «ليلة مايو » التى وضعها «ريمسكي كورساكوف» وكأوبرات الموسيقى الروسى العبقرى « تشايكوفسكى » وهى « السيدة ذات الحربة » و « اوجيه أونيجين » و « الطائرة » ومسرحياته

رقص الباليه « بحيرة البجع » و «حسناء الغابة النائمة» . وغيرها مما لا سبيل إلى تعداده .

ولم يفت المسرح السوفيتى العناية بروائع شكسبير ومولير وشيلر وليسنج و بومارشيه وهوجو وجولدونى ولوب دى فيجا وكالدرون وشريدان و بلزاك وزولا وابسن ولندن وشو وغيرهم من أعلام الأدب العالمى ورواده .

و إن مهرجان الاحتفال بذكرى شكسبير الذى ظل فى تاريخ المسرح السوفيتى كسباق فنى يسهم فيه الممثلون والمخرجون بفنهم ليوضح لك بأجلى بيان أن التراث الكلاسيكى للأدب العالمى قد وجد فى الاتحاد السوفيتى وطنه الثانى من حيث تقدير رجال الفن له ومن حيث إقبال الشعب عليه .

وكثير من مسرحيات الكتاب الأجانب لبثت زمانا طويلا تمثل على المسرح السوفيتى. خذ مثلا مسرحية «العصفور الأبيض» التي وضعها م ميترلنك، فقد مثلت على مسرح الفن في موسكو ١٩٠٨

للمرة الأولى ثم اعيد تمثيلها ألفاوأر بعمائة مرة فى خلال سبع وأر بعين سنة ولا تزال بين برامج المسرح السوفيتى حتى الآن تقدمها ملاعبه المشهورة .

وفى هذا المسرح نفسه «مسرح الفن» لاتزال تمثل كوميديه « زواج فيجارو » التى ألفها الكاتب العالمى بومارشيه وأخرجت على المسرح للمرة الأولى من ثمان وعشرين سنة وقد مثلت أكثر من ٤٠٠ مرة .

وتقدم مسارح الاوبرا والباليه فى كل عام الآيات الخالدة التى خلقها بيتهوفن وموزار وجونود و بوتشينى وروسينى و بيزت وشو بان وسيميتاناومونيوزكو وفيردى وغيرهم من أقطاب الموسيقى فى أوروبا الغربية .

ولا يمكن أن تخلو برامج المسرح السوفيتى فى أى وقت من روائع الفن الدرامى والموسيقى العالمى .

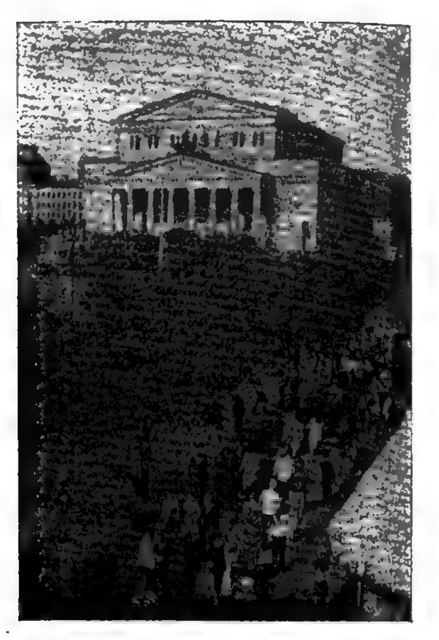
والمسرح السوفيتى بمواصلته الدائبة والمثمرة تصوير نفائس التراث الفنى الكلاسيكى الروسى الأجنبى أمام جمهور المشاهدين — يُعد بحق خلفا ومتمماً لخير تقاليد الماضى ويحبب إلى نفوس الشعب التقدمية فى جميع العصور والأزمان وفى كل بلد ومكان بين شعوب العالم قاصيها ودانيها وجعل أولئك كله فى خدمة السلام العام ورفاهية البشر .

الفصل الثالث

فن للجميع

لقد أوضحنا فى الفصول السابقة أن اشتراكية المسرح السوفيتى قد تحددت بأهدافه الاجتماعيـة العالية التى يعمل لها و بصلته المحكمة بحياة الشعب و بسياسته الواضحة فى برامجه والتى تستهدف تربية الشعب السوفيتى تربية تشمل كل ناحية من حيـاته ومن المفيد أن نجلو ونوضح وجها آخر من المشكلة : لمـاذا يقولون إن المسرح السوفيتى قومى فى تـكوينه ؟

والجواب على ذلك أن نجـاح ثورة اكتوبر الاشتراكية قد فتح أمام الشعب آفاقا جديدة ، وامكانيات للتقدم لا ينضب لها معين ، وعبدالطريق أمامه لتزدهر الثقافة التى ينهل من مناهلها العذاب ولا سيا الفن المسرحى فى كل أمة .



مسرح بولشوى الأكاديمى فى موسكو

ولقد فعلت الدولة السوفيتية الكثير لتمكن أهل كل جنسية تنتظمها من أن يستمعوا إلى ممثلين يخاطبونهم وأن يستمتعوا بمشاهد من مسرحهم الخاص . وتستبين هذه السياسة بوضوح فى تلك الشبكة الواسعة من المسارح الوطنية التى تزخر بها جميع الجمهوريات الفيدرالية والمتمتعة بالحكم الذاتى .

ولننظر إلى داغستان مثلا إننا نرى المسارح الحديثة للمحترفين فى الشعوب الصغيرة من شمال القوقاز فى كوميك و « لاك » و «ليزخين» تقوم برحلات فنية للتمثيل فى المناطق الجبلية فى هذه الجمهورية المتمتعة بالحكم الذاتى .

وما كان لأىّ من هذه الشعوب التى تضم جماعات يتفاوت عددها بين خمسين ألفا ومائتى الفا ، لتعرف لها لغة مكتوبة قبل أن يتسلم السوفيت مقاليد الحكم .

واليوم يطالعهم أساتذة الفن المسرحى فى الاتحاد السوفيتى ببرامج تمثيلية رائعة من الفن الكلاسيكى أو الفن الحديث .

ولننظر كذلك إلى هذه الكثرة من المسارح المنبثة فى جمهوريات آسيا الوسطى ففى « كازاخستان » تلك الجمهورية الفيدرالية التى تعادل مساحتها ثلث مساحة أوربا تقريبا ، ما كان للقبائل الرحالة فيها من مربى الماشية أن تنعم من قبل بأى لون من ألوان التمثيل وما كان أهلها ليعرفوا فى أراضى كازاخستان الواسعة البور غير أولئك المغنيين البدائيين الذين يرتجلون الأغنيات الساذجة . أما اليوم وقد ارتقى هذا الشعب وأصبح فيه المثقفون ورجال الفن وأصبح له مسرحه الوطنى الخاص . مسرح للاوبرا والباليه ، ومسرح للأطفال والشبان ومسرح للفن الدرامى بل أصبح فيه للفن الدرامى وحده خمسة عشر مسرحا فى مختلف مناطق كازاخستان — وأقاليمه .

وثمة عدد كبير من المسارح الوطنية ذات الاستعداد الفنى العظيم فى اوزبكستان» و « كيرخيزيا » والتركمان وتادجيكستان واستحداث هذه المسارح القومية فى تلك الجمهوريات التى ظلت محرومة منها زمانا — هو أيضا بعض الأعمال التى تمت فى

ظل حكم السوفيت ، والتى تعد شواهد حية على اهتمام حكام السوفيت بالنهوض بالثقافات القومية فى هذه الجمهوريات ونشر الفنون والآداب الخاصة بها .

واليوم يستطيع أهل اوبجورس وكاراكالباكس و ياكوتس و بوريات واودمورت وكومى وتشوفاش وموردفين و باشكير وعشرات من الشعوب الصغيرة الأخرى التى يظلها الاتحاد السوفيتى أن تشهد تمثيل وأن تسمع غناء فنانيها المفضلين يتكلمون بلغاتها ويخاطبونها على طريقتها ، ولأول مرة فى تاريخ هذه الشعوب ، أصبحت لهـــا مسارح تضم ممثلين محترفين ومخرجين ممتازين ، وأصبح لهذه الشعوب فنها الخالص تنعم به وفنانيها الذين يرضون مشاعرها وأحاسيسها .

و يوجد اليوم فى الاتحاد السوفيتى — إلى جانب المسارح الروسية ، أكثر من مائتى مسرح قومى للمحترفين فى شعوب الاتحاد السوفيتى الأخرى و يدور التمثيل فى هذه المسارح القومية

بتسع وثلاثين لغة من لغات شعوب الاتحاد السوفيتي .

ومن بين هذه المسارح القومية التي تضمها شعوب صغيرة مسارح أضحت اليوم مبعث فخار الشعب السوفيتي بما أحرزت من نجاح فني بالغ الروعة .

ولم تستطع اوكرانيا أن تبرز مواهب أهلها الفنية وأن تكفل لها الإزدهار إلا في ظل النظام السوفيتي فقد وجد فيها وخطا في سبيل النجاح خطوات كبيرة مسرح الأوبرا والباليه «سيفتشينكو» ومسرح فرانكو الدرامي في كييف ومسرح شيفتشنكو الدرامي في كازكوف ومسرح الاوبرا والباليه والمسرح الدرامي المعروف بمسرح «ثورة اكتوبر» في اوديسا ومسرح « زانكوفتسكا بيس» « في ليتوف » .

أما المسارح الحديثة في روسيا البيضاء فقد نهضت نهوضا مطرداً وخطت خطوات واسعة في سبيل التفوق الفني ونذكر منها مسرح الاوبرا والباليه الكبير ومسرح جانكوكوبالا

الدرامى فى مينسك ومسرح جاكوب كولاس الدرامى فى فيتيسك وأصبحت للمسارح الكبيرة فى جورجيا وارمينيا وآذر بيجان شهرة واسعة وصيت بعيد كما تألقت أسماء مسرح بالياشفيلى للاوبرا والباليه ومسرحى روستافيلى وماردجانيشيلى فى تيبليسى من أعمال جورجيا ومسرح سبنديياروف للاوبرا والباليه ومسرح سودوكيان الأرمينى الدرامى فى اريفان ومسرح الاوبرا والباليه فى باكو . ومسرح ازيز بيركوف الدرامى فى اذر بيجان . ولقد أحرزت هذه المسارح كلها نجاحاً رائعا وأدركت نهضة ملحوظة

وقد تحقق النجاح الأكيد للمسارح الوطنية التى أنشأها السوفيت فى أوز بيك وفى كازاكى وفى كيرخيزى والتركان وتادجيكى ، كمسرح حمزا فى أوز بك وكمسرح نافوى للاوبرا والباليه فى وطشقند ومسرح ستالين الدرامى فى التركان ومسرح لاخوتى الدرامى ومسرح الأوبرا والباليه فى كيرخيزى ومسرح « اباى » للاوبرا والمسرح الدرامى فى « خازاك »

وإن برامج المسرح السوفيتى لتزخر بثروة فنية منتقاه ، كما أن فن المخرجين والممثلين قد ازداد صقلا وتطوراً وتهذيباً وإنك لتلمس هذا كله فى مسرح الفن فى ليتوانيا والمسرح الدرامى فى ريجا ومسرح الأوبرا والباليه فى استونيا وفى مسرح فانيموين فى استونيا أيضاً ومسرح الأوبرا والباليه فى ليتوانيا

ولا بد من الاعتراف الكامل بنهضة المسارح حديثة العهد بالإنشاء كالمسرح الغنائى والدرامى « بوشكين » فى « كيشينيف » وكالمسرح الدرامى فى « بترزافودسك »

والدولة السوفيتيه رغبة منها فى أن تساعد بكل الوسائل الفن القومى فى كل بقعة فى أرضها وفى كل جمهورية فيدرالية أو ذاتية — على أن يتأصل ويزدهر ، فقد كفلت له الوسائل التى تهيىء له النجاح والنهوض ويشاهد الناس فى كثير من مدن الجمهوريات الفيدرالية والذاتية دور المسارح فى هندستها المعمارية التى تنطق بقوميتها وفى نقوشها الوطنية وزينتها الخاصة

ففى مسرح نافوى للأوبرا والباليه فى طشقند على سبيل المثال ترى كل صالة وقد تألقت فيها مجموعة من روائع الفن القومى الأخاذة وفى بخارى وخوارزم وفرخانا التى تشاهد على جدرانها الزجاجية رسوماً رائعة من الداتنلا البيضاء التى تصور لك فى جملتها منظراً لأحد القصور التاريخية القديمة التى ترويها قصص الشرق المعطرة باريج الخيال .

وفى « المارالتا » حيث مسرح الأطفال والشباب من أهل كازاخستان يرى المرء نفسه وقد أحيط فى كل مكان فيه بأبطال الملاحم الشعبية فى صور نفذت على ألواح كبيرة ذات ألوان متعددة أو يرى من حوله عصافيراً وطيوراً أخرى من طيور الزينة تحلى السرادقات الجميلة أو أرض التمثيل ، أو يرى أبطال الكتب الممتازة وقد أحاطتهم هالة من خيال الشاعر المملوء بالمرح والتى خصصت للأطفال ، وتثير الاهتمام والمتعة كذلك مبانى مسرح اباى للأوبرا والباليه فى « كازاك » والمسرح التركمانى فى اشخباد ومسرح سبيبدياروف الأرمينى للأوبرا والباليه

إن الدولة السوفيتية قد أولت عنايتها بالثروة الفنية والثقافية لكل شعب من شعوبها وأبرزت مفاتن هذه الثروة ونهضت بها وأعدت فى حذق إطاراً للفن الدرامى ، وعبـدت الطريق أمام الموسيقين والمخـرجين والممثلين من شتى القوميات التى يظلها الاتحاد السوفيتى

ومنذ عام ١٩٣٠ ينظم فى موسكو المهرجان الفنى لشعوب الاتحاد وتشترك فيه عدةمسارح قومية تمثل أرمينيا وروسيا البيضاء وجورجيا وأوكرانيا والتركمان والتتار و باشير وغيرها .

وقبل نشوب الحرب العالمية الثانية كانت تنظم فى موسكو كل عام مهرجانات أدبيـة وفنية تمثل ألوان الآداب والفنون فى الجمهوريات الفيدرالية والمتمتعة بالحكم الذاتى .

وكان فى وسع جمهور المشاهدين أن يقف بجلاء على مدى التقدم العظيم والخطوات الواسعة التى خطتها الثقافة القومية فى الفن الدرامى وفى الأوبرا والباليه وفى التمثيل والإخراج .

ولا تزال هذه المهرجانات تقام كل عام حتى الآن .

وفى عام ١٩٥٥ استقبلت موسكو المُسهمُون فى المهرجان الثانى لآداب روسيا البيضاء وفنونها . وانتظم المهرجان كتاباً ومؤلفى أغان ورسامين وممثلين ومخرجين وموسيقين، جاءوا ليعرضوا بدائع الفنون والثقافة فى جمهوريتهم

وأعقبه فى موسكو أيضاً مهرجان لفنون بخارى

وإن كلمات الرفيق م . كالينين المشهورة والتى قالها فى هذا المقام لخير شاهد على العناية التى أولتها الحكومة السوفيتية والتى لاتزال توليها للنهوض بالفن القومى لكل شعب من شعوبها والعمل على إزدهاره

قال الرفيق كالينين: «سوف أقنع بذكر مثل واحد استشهد به فى هذا السبيل وهو حماسة الشعوب التى تحررت من أغلالها فى تخليد ذكرى أبطالها الشعبيين وعظماء تاريخها

إن هذه الشعوب لتعمل على إبراز هذه الصور التاريخيــة والشعبية من خلال انتاجها الفنى الذى تعرضه فى موسكو قلب

الجمهورية السوفيتية وكأن كل شعب من شعوب الاتحاد يوجه الخطاب إلى شعوب الاتحاد الأخرى ليقول لهم أنظروا إلىّ ، فإذا كنت عضواً فى هذا الاتحاد العظيم لشعوبنا فإنى بذلك لجدير وله أهل . فأنا لم أنحدر من أصل مجهول أو سلالة غريبة فهذا تاريخ نسبى الذى أفاخر به والذى جئت لأثير إعجابكم يا إخوتى فى الكفاح ، أنتم الذين تشتركون معى فى الذود عن أفضل المثل الإنسانية وأرفعها مقاماً »

ولقد كان للتعاون الأخوى بين شعوب الاتحاد المختلفة وابتادل نفائسهم الثقافية أكبر الأثر فى النهضة الشاملة التى بلغتها الفنون القومية فى الاتحاد السوفيتى

وليس التراث الكلاسيكى لبلادنا أكبر معبر عن آداب روسيا وموسيقاها فحسب بل أنه الكنز الغنى لجميع شعوب الاتحاد والمنهل الصافى الذى يغترف منه الناهلون .

وليس من قبيل المصادفة — بل أن هذا كثير أن نرى فى الاعلانات الكبيرة لمسارح موسكو ولينجراد والمدن الأخرى فى

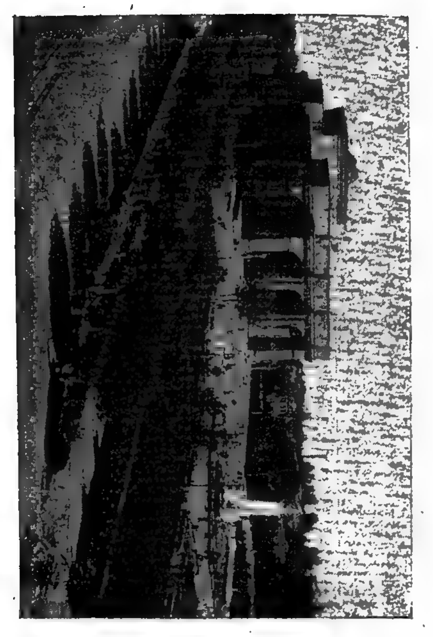
البلاد — إلى جانب أسماء بوشكين وجلينكا وجوجول وموسورجسكى — أسماء أوستروفسكى وريمسكى كورساكوف ، وتشايكوفسكى وجوركى فترى إحدى أوبرات جولاك ارتيموفسكى أحد أقطاب الموسيقى الكلاسيكية فى أوكرانيا كما نشهد معجزة الشاعر الأوكرانى العبقرى ت . تشيفتشنكو «نزار ستوديليس» والدراما الشعبية التى وصفها المؤلف الأوكرانى ا . فرانكو وعنوانها « السعادة المسلوبة » والكوميديا الكلاسيكية الشعرية التى تمثل أدب روسيا البيضاء والتى وضعها الأديب الأوكرانى ج . كوبالا بعنوان « بافلنكا » والقطعة الغنائية المحبوبة التى وضعها الكاتب الليتوانى « ج . راينيس » بعنوان « هى يانستى ! » والكوميديا اللاذعة للكاتب الدرامى الأرمنى « ح . سوندوكيان» وعنوانها « بيبو » وأوبرا «ابسيلوم وايثيري » ذات الألحان المشجية التى أبدعها أديب جورجيا «بالياشقيلى» والكوميديا الغنائية الضاحكة (ارشين .مال.إلان) من عيون انتاج المؤلف الموسيقى الأذربيجانى و . جادجيبكوف .

ولقد تأثرت المسارح القومية فى شتى جمهوريات الاتحاد السوفيتى بصفة خاصة بالمسرح الروسى القديم و بالفنين الدرامى والموسيقى الكلاسيكين كما تأثرت بالفن الروسى المعاصر

و إنك لواجدفى استوديوهات موسكو ولينينجراد وبين الفرق التمثيلية والمخرجين المعاصرين يتخذون من التجارب الفنية التى مر بها أقطاب المسرح الروسى أمثال ستانسلافسكى وفاختانجوف رسيموتوف وتارخانوف وليونيـدف وجو ياتسينتوف وغيرهم دعامة يرتكزون عليها فى فنهم الحديث ومثلا يحتذونه فى كثير .

واليوم أصبح لكل جمهورية فيدرالية أو ذاتية فرقها الممتازة من الممثلين والمخرجين الذين يقدمون على مسارحها الوطنية أجمل ألوان الفن وأشهاه

ولقد دعى الممثل الأوديسى « ف تخابسليف » أخيراً ليقوم بجولة فنية فى موسكو



مسرح الدولة باوزباك للأوبرا والباليه

وهو كأنداده وأضرابه من أبطال مسرح اوديسا الشمالية (فى القوقاز) الذين لم يجدوا فى الماضى مسرحاً للمحترفين فى بلادهم ، قد تلقى علومه العالية فى معهد التمثيل بموسكو .

وقد أصبح تخابسايف اليوم ممثلا تراجيديا يشار اليه بالبنان وقد انتزع اعجاب النظارة الشديد وهو يمثل فى إبداع ليس وراءه إبداع دور « عطيل » على مسرح « موسوفيت » فى موسكو .

أما تطور الفن الدرامى وفنى الاوبراوالباليه فى الجمهوريات السوفيتية المختلفة فسائر سيراً حثيثاً نحو الكمال ، ولقد ترجمت إلى الروسية وإلى لغات أخرى روائع التأليف الدرامى القومى الذى أنتجته قرائح أدباء وفنانى الجمهوريات الفيدرالية والذاتية — وشهدتها مسارح جميع البلدان .

ولقد ذكرنا من قبل مسرحيات المؤلف الدرامى الأوكرانى؟ كورنيتشوك ودرامات أديب روسيا البيضاء « ك . كرابيفا » . . ومثل المسرح الكوميدى فى موسكو منذ أكثر من أربع سنوات

الـكوميديا الرائعة « زواج بمهر » التي وضعها الـكاتب المسرحي الدرامي ا . ديا كونوف ومثلتها بعد ذلك اكثر من مائة فرقة في مائة مسرح بشتى اللغات .

وأنا لنذكر إلى جانب هـذه الروائع والبدائع آيات أخرى من الفن والأدب نالت شهرة شـعبية كبيرة وأحرزت نجاحا في كل بلد مثلت فيه ومنها «فندق النسر الذهبي» و « غرام في الفجر » للـكاتب الاوكراني « ج جالان » و (معذرة ، من فضلك) للـكاتب الدرامي في روسيا البيضاء «ا. ما كيانوك» و «الرافلة في الحرير» للمؤلف الدرامي في «اوز بك» و « كهار» . و « الصرصار » من تأليف أديبة جورجيا « م باراتاتسفيلي » و « المعسكران » لـكاتب اوستونيا الدرامي « ا. جاكوبش » و « أسرة الآن » للمؤلف التركاني ج . مختاروف ، وغيرهم من الأدباء والمؤلفين .

وإلى جانب هذه الباقة المنسقة الأزاهير من آداب جمهوريات الاتحاد السوفيتي نذكر روائع التأليف الموسيقي المعاصر في الجمهوريات

الفيدرالية والذاتية — هذه الروائع التي كفلت لمؤلفيها شهرة واسعة ومجداً متألقا ومنها هذه الاوبرات الاوكرانية «الديدبانة الشابة» ل.ي. ميتوس، و «بوجدان خميلنتسكي» التي وضعها ك. دانكيفيتش وقطعة الباليه التي وضعها اديب روسيا البيضاء «ف. زولوتاريف» «قلوب ملتهبة»، و«الباليه اللتوانية على شاطىء البحر» التي ألفها «ي. اوزيلوناس» والباليه التترية: «شوراليه» التي وضعها ف ياروليين والاوبرا الاذربيجانية «سيفيل» من تأليف ف «اميروف» والكوميديا الغنائية في بلاد «البحيرات الزرقاء» التي تعد من روائع الأدب الليتوني والتي ألفها «ا. جيليفكيس».

وتمتاز جميع هذه الاوبرات والباليهات بصدق تصويرها لشتى نواحي أخلاق وعادات وتقاليد هذه الشعوب وفي تلوينها الدقيق للحياة اليومية في كل شعب منها بما تحتويه من أغان ورقصات ريفية وبما تعبرعنه من خواص تاريخية يؤديها الأبطال بالكلمات والحركات والإشارات.

ومن الخطأ الظن بأن برامج المسارح القومية فى هذه الشعوب تقتصر فى مشاهدها وعروضها على الموضوعات القومية والوطنية فحسب بل على النقيض من ذلك تعرض الفرق المسرحية فى الجمهوريات الفيدرالية والذاتية من حين الى آخر وفى نجاح أكيد شأنها فى ذلك شأن المسرح الروسى — تمثيليات وأوبرات من الفنون الدرامية والموسيقية الكلاسيكية والمعاصرة من فنون روسيا والفنون الأجنبية الأخرى .

وكيف يحق لنا ونحن نتحدث عن نجاح الفن السوفيتى فى فى المسرح والموسيقى بغير أن نذكر مسرحيات شكسبير التى أخرجتها المسارح الوطنية كمسرحية عطيل التى مثلت على مسرح روستافيلى فى جورجيا و « هاملت » على مسرح « خمزا » فى «أوزبك» و «روميوجوليت» على مسرح الفن فى «ليتونيا» و « الفاجرة المؤنسة » على مسرح « كازاك» الدرامى ؟

وثمة عروض أخرى ناجحة لبدائع الفن الكلاسيكى الأجنبى وكاوبرا « تيراتدوت » التى ألفها « بوتشينى » وقد مثلت على

المسرح الاوكرانى للأوبرا والبالية في « اديسا » وكقطعة «فردى الخالدة» الشاعر المتجول ، التى مثلت على مسرح الأوبرا والباليه فى « ألما راتا » بكازاك وكمعجزتى فردى « عايدة » و « ريجوليتو » وآية يوتشينى الخالدة « مدام بترفلاى » و « فاوست » لجونود فهذه القطع الفنية الرائعة ومثيلاتها نالت نجاحا عظيما على مسارح عديدة فى الجمهوريات الفيدرالية

إن المسارح الدرامية قد أخرجت خير إخراج ومثل فنانوها فأجادوا أدوارهم فى مسرحيات شكسبير وموليير وشيللر وجولدرونى ولوب دى فيا كما طالعوا الجماهير بطائفة من المسرحيات الأجنبية المعاصرة التي اختيرت بعناية وأخرجت بإجادة ومثلت باتقان .

وليس النجاح الفعال الذى أحرزه الفن القومى فى جميع الشعوب الاشتراكية ظاهرة عابرة بل هو حقيقة مرتبطة بطبيعة النظام الاشتراكى ، ويشهد هذا النجاح بأن جميع شرائطه وامكانياته قد اجتمعت واكتملت فى الاتحاد السوفيتى ذلك لأن الأساس الاقتصادى والاجتماعى للدولة السوفيتية

وسياستها قد فتح آفاقا لا حد لها وامكانيات لا نفاد لها أمام الأعمال الفنية الخالقة التي تتميز بطابعها الشعبي الأصيل ولقد احتشد ألوف وألوف من الفنانين الموهوبين في شتى الجمهوريات ومن مختلف القوميات ، والمنحدرين من صميم البيئات الشعبية الخالصة ، معبئين جهودهم في سبيل الانتاج الفنى الجيد ولما كان هؤلاء الفنانون من مؤلفي الدرامات والأغاني ومن الممثلين والمخرجين في الجمهوريات الفيدرالية والذاتية موصولين بالشعب ، لا يفصلهم عنه شيء فقد استطاعوا بمواهبهم القيام بعروض فنية ذات مرامى بعيدة زاخرة بالأفكار والآراء ومصبوبة في قالب شعبي مثير . وكثير من هذا الانتاج الفنى أضحى محل فخار للشعب السوفيتي جميعه وكانت له آثاره الأكيدة في كل مكان

الفصل الرابع

منهاج المسرح

لما انتهت الثورة الكبرى بنجاح الشعب ، عمدت الدولة إلى تطبيق مبادىء لينين فى حزم ودقة على الفن الوثيق الصلة بالشعب والذى يستهدف المثل العليا والآراء السامية وجعلت منه أداة فعالة لتربية الشعب فكرياً . وقد وضعت فى هذا السبيل سياسة محكمة ناجحة ترتكز على العناية الفائقة بإبراز المؤلفات الكلاسيكية فى الآداب الروسية والأجنبية وإلى النهوض فى الوقت ذاته بالفن الدرامى الحديث والاهتمام بالصلة الجوهرية التى تربط بين الثقافة الاشتراكية الحديثة وبين ثقافة الماضى التقدمية والديمقراطية

وفى هذا يقول لينين « إننا بغير إدراك سليم لهذه الحقيقية

وهى أن السبيل الوحيد لإقامة ثقافة بروليتارية لا يمكن أن يتم إلا بالمعرفة الصحيحة للثقافة التى خلفها تطور الإنسانية وبذوب هذه الثقافة وسبكها »

والدولة السوفيتية بحشدها حول برنامجها كل القوى التقدمية فى مواهب أعلام الفن ، استطاعت أن تدعم الفن الواقعى الذى شاهده رواد مسرح « مالى » ومسرح « الفن » ، هذا الفن الذى ورث عن الماضى أفضل تقاليده الديمقراطية وتتمثل هذه التقاليد الديمقراطية الفاضلة ببيان جلى فى الآراء الانسانية والمرامى الغزيرة التى تزخر بها المؤلفات الدرامية التى أنتجها كتاب روسيا الكلاسيكيين أمثال جريبوييدوف و بوشكين وجوجول وتشيكوف وجوركى ، وهذه كلها تبدو زاخرة بفكرة الجمال الفنى التقدمى التى نادى بها مشاهير النقاد فى القرن التاسع عشر أمثال بلينسكى وتشير نيشفيسكى ودوبروليوبوف وكل ما خلفه كبار مشاهير المبدعين من أعلام التمثيل الروس فى

الماضى من تجارب وتراث فنى تميز بطابع الخلق والابتكار ونذكر من هؤلاء الفنانين على سبيل المثال لا الحصر شتشيبكين وموتشالوف ومارتينوف وسادوفسكى وآخرين من غيرهم من رواد الفن وجهابذته وليس المسرح كما قال جاجول بحق — إلا منبرا يستطيع أن يقول الممثل من فوقه أقوالا تفيد العالم وتمتعه .

« انظر . . . ترى روسيا بخيرها وشرها ، بمزاياها وعيوبها ، وأنصت تسمع كلمات أبطالها الماجدين وقد نفضوا عنهم غبار اللحد ، وخرجوا من الأجداث بقوة الخيال وبراعة التمثيل ، وإنك لتحس نبضات حياتها القوية » .

تلك هى الامكانيات التى ينبغى أن يقدمها لنا المسرح كما يقول (بلينسكى) ... ولقد كان لجهود المتقدمين من رجال الفن والآداب تأثيراً كبيراً فى المسرح الذى أضحى بالفعل منبراً للتربية الاجتماعية كما أصبح جامعة للشعب وما كان للمسرح أن

ينهض بدوره التربوى على هذا الوجه من القوة إلا فى ظل النظام السوفيتى .

وأن أساتذة الفن المسرحى فى الاتحـــاد السوفيتى أمثال ك.س. ستانيسلافسكى وف.ك نيميرونيتش دانتشنكو وتلاميذهم وهم يعملون على انتاج آثارهم الفنية فى الدراما السوفيتية إنما يجاهدون فى تلمس خير الوسائل لتصوير الحياة فى عمق وصدق وحسن بيان.

وقد دلت التمثيليات التى قدمها مسرح «الفن» ومسرح «مالى» ومسرح «فختانجوف » فى العيد الثانى لثورة أكتوبر - بأجلى وضوح على أن المسرح السوفيتى يتجـــه نحو ابراز الأفكار الهامة التى يحملها العصر .

وقد استهل هذا المنهج الجديد للانتاج المسرحى ما نسميه بالواقعية الاشتراكية .

فما هى الدعائم التى ينهض عليها هذا المنهج الجديد ؟

لقد قال ستالين للكتاب : اكتبوا الحقيقة .

ولكنه لا سبيل إلى تصوير الواقع على حقيقته و إبراز الحياة كما هي إلا إذا عرف الكاتب أولا الحياة المحيطة به تمام المعرفة .

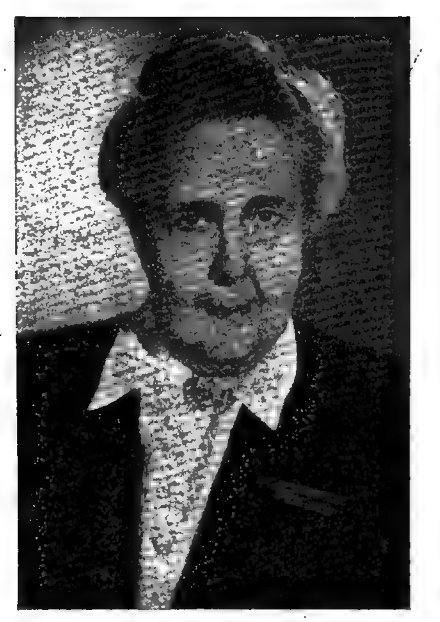
إن العالم الذي يحيط بنا وحياة الشعب الذي يضمنا هي روح الفن وجسده وهدف التمثيل المسرحي وغايته ومن أجل هذا كان التغلغل في صميم الحياة وعرفان باطنها وظاهرها ، وقريبها و بعيدها وصادقها وزائفها شريطة أولى للحقيقة في الفن وهي إحدى المبادىء الأساسية للواقعية الاشتراكية .

غير أن معرفة الحياة وحدها ليست كل شيء ، وليس التصوير الساذج للحقائق والأحداث العارضة لا يمكن أن يعد تصويراً فنيا للحياة في جملتها ولا يمكن أن يخلق شخصيات أصيلة في ظروف بعينها .

ولا بد للكاتب الدرامي وللمسرح الدرامي — مع معرفتهما

بالحياة فى دقائقها — من أن يصوراها فى حركتها الدائبة نحو الأمام وفى سيرها الزاحف بغير انقطاع ولا بد لهما من أن يبرزا من خلال المتناقضات الشديدة والكفاح المستمر فوز التقدمى الذى لامحيد عنه . التقدمى الذى يولد على الرجعى الذى يختفى كما يتغلب النور على الظلام ذلك هو المبدأ الثانى من مبادىء الواقعية الاشتراكية .

ولكم ألح ما كسيم جوركى مؤسس الواقعية الاشتراكية فى الآداب، ألح دائما على الكتاب فى أن يولوا كل ظاهرة إجتماعية تقديرهم الفكرى وأن يكون لهم تأثير فعال فى الحياة بما يكتبون و بما يصورون . فلا يجوز أن يكون الكاتب مجرد مصور للوقائع، يرسمها كما هى ، و يعرضها كما شاهدها ، كأنه رقيب أجنبى عن الحوادث لا يهمه أن تتجه إلى أعلى أو إلى أسفل ، بل لا بد له من أن يكافح بقلمه و بفنه ليحقق انتصار الآراء التقدمية وصهر تفكير ملايين البسطاء ووجدانهم .



إيابلو هكينا إحدى رائدات المسرح الروسي والرئيسة الدائمة
لجمعية الفن المسرحي لجيم الروس

ومن أجل هذا كان لا بد للتصوير الحقيقى والتاريخى لحياة الأفراد ، ومشاعرهم وأفكارهم وخواطرهم من أن يرتكز إلى الفهم العميق ، والادراك الشامل للكفاح العظيم الذى قام به الشعب السوفيتى .

ومن أجل هذا أيضا يحق لنا أن نقول غير مغالين : إن المسرح السوفيتى يسمى وبحق : مسرح الحياة الحقيقية وليست الحياة السوفيتية مصدراً غنياً لإلهام المخرجين والممثلين والمصورين على المسرح فحسب ، بل أنها مع هذا وقبل هذا توحى اليهم بالأشكال الأخاذة والوسائل الجديدة فى التعبير والتصوير .

ولقد تعلم المخرجون والممثلون ودربوا على ابراز العنصر الجوهرى لفنهم : الانسان السوفيتى الجديد ، بان ، الروابط الجديدة بين الناس وما فى كفاحهم من بطولة ومزاياهم المعنوية العاليــة ، والنهضة الدائمة لثقافتهم .

ولتطور أسلوب الواقعية الاشتراكية فى المسرح السوفيتى صلة وثيقة بالتراث الفنى العظيم الذى قدمـــه ستانيسلافسكى ونيميروفتش دانتشنكو ولقد تخطت هذه الثروة الفنية العظيمة منذ وقت طويل حدود «مسرح الفن» فى موسكو لتكون دعامة للفن المسرحى السوفيتى كله .

ولقد وجد ممثلو المسرح السوفيتى ومخرجوه فى نشاط مؤسس « مسرح الفن » والنظرية التى نادوا بها مثالا رائعا للخدمات الوطنية التى يسديها المسرح للشعب واجادة فنية وتغلغلا عميقا فى تجسيد الحوادث وابرازها فى صورها الحية الناطقة .

والممثلون والمخرجون السوفيتيــون على اختلاف مواهبهم وتنوع منابع عبقرياتهم الفنية يعدون ولا ريب تلاميذاً المدرسة الروسية فى التمثيل والاخراج ، تلك المدرسة التى وضع نظامها ستانيسلافسكى .

وتقوم هذه الطريقة ونظريتها فى الاخراج على الفهم العميق

الدور الاجتماعى الذى ينهض به الفن والفنانون ، ومهمتها فى التربية وتأثيرها فى صقل أذواق الشعب ليدرك حقائق الجمال الفنى و يميزه .

والمخرج الفنى هو فى الوقت ذاته ممثل غير منظور يوجه بفكره المسرح و إن تكن مهمته الأصيلة أبراز فكرة القصة المسرحية بصور حية وحقيقية فى صميمها .

والمبدأ الأساسى الذى يستند اليه المدرسة السوفيتية فى الإخراج هى الاعتراف بهيمنة الممثل على المسرح ، بحيث يكون سيده ولا بد للمخرج من أن يختفى وراء دور الممثل .

تلك هى الصورة التى يعرض بها نيميروفتش دانتشنكو أوثق الروابط وأدناها بين المخرج والممثل ومهمة المخرج فى ابراز التمثيلية . ومن هنا نفهم أن المخرج لا يفرض إرادته على الممثل ولكنه يقتصر على توجيهه و يساعده فى ابراز مواهبه الفنية .

غير أن الممثلين مهما أجادوا فى تمثيلهم وأبدعوا فان عملهم

هذا ليس كل شيء فالنتيجة الفاصلة فى نجاح العرض كعمل فنى متجانس ترجع إلى صدق التمثيل فى جملته بحيث يكون كل عامل بما فيه من فكرة ، وتمثيل وإخراج وتصوير وغير ذلك خاضعة للمبدأ الأساسىّ وهو أن تمثل كل جزئية فيه الصورة الحقيقية للحياة وأن يكون توزيع الأدوار كبيرها وصغيرها بطريقة فنية لا تغابن فيها .

ومن حق المخرج بوصفه منظما لمشاهد العرض أن يوجه عمل المصور المسرحى والملحن بحيث ينبغى عليه أن يستغل التمثيل والموسيقى فى إبراز خير ما حوته القصة المسرحية من آراء جوهرية. فان كل مشهد من مشاهدها ، وكل حركة يقوم بها الممثل ، وكل لحن موسيقى طويل أو قصير ، يخضع للمهمة الأصيلة للمخرج وأعنى بها إبراز ما فى القصة من معان عالية وآراء سامية بالتصوير الفنى .

وتعد طريقة ستانسلافسكى التعبير الصحيح والأسلوب السليم للواقعية ألاشتراكية فى فن الممثلين والمخرجين . غير انه من الخطأ الجسيم أن تظن بأن الاعتراف بهذه الطريقة كأسلوب على لاشك فيه لعمل الممثلين ولإخراج التمثيلية ، يسلب الممثلين فى مختلف المسارح صورهم الفنية ومميزاتهم التى يعرفون بها أو بمحو شخصياتهم كممثلين .

ان الواقعية الاشتراكية لا تنظم الفن ولا تعبد الطريق له و إنما تخلق الامكانيات الدائمة لخلق واختيار الأنماط والمناهج والأساليب المختلفة التى تتمشى مع ميول المؤلفين والمخرجين والممثلين وتساير أذواقهم .

ومع أن الدراميين والقائمين على المسارح يستلهمون من نفس الأسلوب الواقعى الاشتراكى أساس فنهم فانهم مع ذلك يخلقون مشاهد ، وعروضافنية تختلف فى نماذجها وتتباين فى أنماطها وطرائقها

خذ مثلا يوضح لك هذه الفكرة. فلقد اشترك مخرجان فى إخراج مسرحية واحدة هى «العاصفة» التى ألفها ا . اوستروفسكى وكان لكل منهما طريقته الخاصة التى تختلف عن طريقه صاحبه تمام الاختلاف . أما أحدهما وهو المخرج ف . نيميروفيتش دانشنكو فقد أخرجها المسرح «الفنى» مسرحية شعرية غنائية لامرأة روسية عادية على براءة ذكاء لماع وفطنة من نساء الروس اللائى عشن فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . ولقد جاهد المخرج ليضفى على الأشخاص المميزات السيكولوجية الدقيقة فى كل جزئية من جزئيات الاخراج فى الملابس والديكور والتصوير ، للحياة اليومية الكاملة الصادقة والأخلاق والعادات والطبائع التى يتميز بها أهل قرية ريفية وأن يعطى صورة صادقة لهذه الثغرة فى إقليم من التجار .. وفى مسرح آخر هو مسرح «ميا كوفسكى» فى موسكو أخرجت هذه التمثيلية اخراجاً آخر يختلف كل الاختلاف عن سابقه ذلك بأن أخرج اخولوبكوف رأى فى مسرحية « العاصفة » لاوستروفسكى دراما وطنية فيها بطولة وفيها لون من التضحية بعد أن أدخل فى

أسلوب جرىء تصويراً موسيقيا لأخلاق أبطالها و بعدأن استخدم حركة المسرح الدائر لاضفاء قوة على المسرحية تبرز عناصرها الرنانة أومشاهدها المؤثرة وقد استطاع المخرج أن يعطى للمسرحية الصورة الرمزية التى اتفق الناس عليها فى تصوير ذلك العهد .

وقد مكن هذا الحل المخرج ن. أوخلو بكوف من أن يوضح بطريقته فى الاخراج فكرة المسرحية ، لا بتمثيل الممثلين فحسب بل بحركات العازفين و بالأداء الموسيقى و بتأثير الأضواء فى بعض المناظر .

و يدل هذا المثـــال الذى ذكرناه على أن أسلوب الواقعية الاشتراكية فى المسرح لا يمنع بحال ، بل يساعد تماما ، على تطور أساليب التيارات الفنية فى شتى المسارح السوفيتية .

الفصل الخامس

أسس تنظيم المسرح السوفيتى

ويمكننا تلمس خواص المسرح السوفيتى ومميزاته فى الأسس التى قام عليها نظامه . فلقد كان المسرح السوفيتى قبل قيام ثورة أكتوبر فى أيدى رؤساء الفرق الخاصة للتمثيل تقريبا ومع أن بعضهم كان معنيا بالنهوض الفنى المسرحى و بالسعى إلى إيجاد مسرح ذى برامج مختارة وفرقة ممتازة فقد كان هذا البعض المتحمس لنهضة المسرح قليلا جدا فقد كان أصحاب المسارح الخاصة أو كان أكثرهم وكان رؤساء الفرق التمثيلية الخاصة يؤجرون المسارح بعقود ناظرين إلى الفن المسرحى على أنه مشروع تجارى لا بد من أن يدر على أصحابه ربحا موفورا .

وكان سباقهم فى سبيل الكسب يتطلب منهم أن يرهقوا

الممثلين فكانت الفرقة فى الأقاليم تمثل بين خمسين أو مائة مسرحية فى العام وما كان للممثلين أن يستظهروا أدوارهم عن ظهر قلب وانتهى الأمر إلى الاستعانة بالملقنين . وكان الديكور يستبدل بخشب الجالون أو بالستائر حسب الظروف .

وجاء تقلد السوفيت الحكم قاضيا على هذا اللون الرخيص من الفن وأدى إلى تغييرات جوهرية فى نظام المسرح .

ففى التاسع من شهر نوفبر سنة ١٩١٧ أصدر قومسيرو الشعب مرسوما ينص على ضم إدارة المسارح لقسم الفنون التابع للجنة الدولة للتعليم وتولت هذه اللجنة أو المصلحة مهمة الادارة العامة لشتى المسارح فى البلاد .

وجاء مرسوم توحيد الفن المسرحى الذى أصدره الرفيق لينين فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩١٩ خطوة حاسمة فى سبيل نهضة المسرح على أساس من نظامه الجديد .

وقد أممت بموجب هذا القانون كل دور المسارح وتكونت لجنة مركزية للمسرح القيت على عاتقها تبعات النهوض به وأعانت الدولة المسارح بمعونات مادية كبيرة وهيأت لها الظروف التى تساعد على نهضتها ومكنتها من تحسين برامجها والعناية بعروضها واختيار المسرحيات والأوبرات القيمة .

واليوم لم يعد فى روسيا لا روساء فرق للتمثيــل ولا فرق تمثيل متجولة ولا مسرح أهلى فقد أصبحت كل المسارح ملــكا لشعب السوفيت الاشتراكى .

وقسمت المسارح جميعها من حيث أعمالها ومستواها الفنى ومقدرة ممثليها إلى أربعة أقسام من حيث تقدير رسوم الدخول فاذا ارتقى المسرح فنيا ونهض مستواه فى الإخراج والتمثيل والتصوير ، رفع إلى القسم الذى يعلوه ورفع بالتالى أجر كل ممثل فيه وأجور الدخول كذلك.

وأصبحت الإدارة العامة للفن المسرحي في البلاد تابعة لوزارة الثقافة في الاتحاد السوفيتي ومسؤولة من مصلحته المركزية للمسارح والمؤسسات الموسيقية .

ووزارة الثقافة رغبة منها في تدعيم برامج المسارح ، تبرم عقوداً مع المؤلفين المسرحيين ومؤلفي الأغاني لتقديم مسرحيات واوبرات وكوميديات غنائية وكوميديات للباليه ، وترسل هذه المؤلفات إلى إدارة النشر لحماية حقوق المؤلفين ، بحيث يتسنى لكل مسرح أن يختار ما يوائم برامج مسرحه وتنظم من حين إلى آخر مسابقات لاختيار أحسن مسرحية أو أفضل أوبرا وذلك لتنشيط التأليف المسرحي من شتى نواحيه .

ولقد نظمت ندوات تدرس خلالها الثروة الفنية التي وضعها ستانسلافسكي ونيميروفيتش دانشنكو ، اريد بها رفع المستوى الفني للممثلين والمخرجين .

ونظم عرض للمسرحيات الكلاسيكية الروسية في عام ١٩٤٦

فى جميع مسارح الاتحاد السوفيتى إذ نوقشت نتائج هذا العرض الفنى فى مؤتمرضم المخرجين فى موسكو وعلقت عليه الصحف طويلا

وفى عام ١٩٤٩ نظمت مسابقة للمسرحيات الحديثة اشترك فيه أكثر من ثلاثمائة مسرح درامى .

ولقد أرسلت موسكو إلى الجمهوريات والمناطق البعيدة طائفة من خيرة الناقدين الفنيين والمخرجين .

ولقد أخرجت فى هذه المسابقة مسارح الاتحاد السوفيتى ، فى اوكرانيا وروسيا البيضاء وليتونيا واستونيا واذربيجان وليتوانيا وجورجيا وأرمينيا وكازاخان وملدافيا أكثر من ٣٥٠ مسرحية ، وقدمت تقرير عن هذا العرض الفنى الذى اشتركت فيه مسارح كبيرة إلى مؤتمرات الجمهوريات .

وتنظم كذلك فى فترات معينة مسابقات كهذه بين الناشئين من المخرجين والممثلين ، ولقد اقيمت مسابقة من هذا النوع فى

مسارح موسكو ولينتجراد فى خلال الموسم التمثيلى فى عام ١٩٥٣ و ١٩٥٤ واشترك فيها أكثر من ١٠٠٠ مخرج ورئيس اوركسترا وممثل ومصور ونال منهم خمسة وسبعون جوائز قيمة كما نظمت مسابقات للشباب على هذا الطراز فى الجمهوريات الأخرى .

وتنظم الدولة جولات تمثيلية فى صيف كل عام يشترك فيها بين ٢٥٠ مسرحا وثلاثمائة فى مينسك فى اوربا وغيرها و بلغ عدد المسرحيات والاوبرات والباليه التى مثلتها الفرق فى جولاتها أكثر من ٤٥٠٠٠ شهدها أكثر من ١٣ مليونا ونصف مليون سوفيتى و يجدر بنا أن نتكلم ولو قليلا عن نظام المسارح والاسس التى تعتمد عليها إدارتها فى توجيه العمل كل يوم . فنقول إن إدارة المسرح فى جملتها تخضع لمديره فهو المسؤول عن اختيار برنامجه وعن مقدرة ممثليه وعن المستوى الفنى والفكرى للمسرحيات التى تعرض فيه وأخيرا عن إدارته المالية .

وللمسرح مجلس فنى يضم مديريه وكبير مخرجيه والمسؤول

عن القسم الأدبي فيه وكبار ممثليه ومصوره الأول ورئيس الأوركسترا . ويعد مخرجو مثل هذا المسرح هيئة لها أهميتها الأولى فاليهم يرجع الفضل في نهضة المسرح الفنية الايدولوجية .

وللمجلس الفني باعتباره هيئة استشارية أن يدرس مشروعات البرنامج للمسرحي والمسرحيات الجديدة وقطع المؤلفين الموسيقيين وفي الفترات التي يجري فيها العمل لإخراج تمثيليات جديدة يدرس المجلس الفني حفلات الاختيار التي تقام ويشاهدون تصميم الإخراج ليحكموا بإمكان بدء أول عرض

ويدعو المجلس الفني في أكثر الأحيان في حفلات العرض الأولى (تحت التجربة) نفراً من الكتاب والنقاد والمؤلفين الموسيقيين وقادة الرأي من المفكرين

وللمؤسسات الاجتماعية تأثير كبير على حياة المسرح كما أن للاتصال الوثيق بجمهور المشاهدين أهمية كبرى في حياة المسرح وفي تطوره ، وتمكن المؤسسات الاجتماعية الممثلين والمخرجين من

ن يدرسوا في عمق حياة العمال في المصانع وحياة المهنــدسين
يجعلوا في حسابهم أحساسيهم وشعورهم وهم يطالعون النظاره
بتمثيلية جديدة تدور حول هؤلاء الأشخاص .

وتساعد المسارح بدورها هذه المؤسسات في سبيل أداء رسالتها
الثقافية وفي إدارة فرقها من الممثلين الهواة .

وتتسم خواص نظام المسرح السوفيتي بالطابع الشعبي .

الفصل السادس

هيئة موظفي المسرح

أولت حكومة الاتحاد السوفيتي عناية كبيرة لتكوين هيئة ممتازة من القوامين على المسرح .

وقبل شهر أكتوبر سنة ١٩١٧ لم يكن في روسيا سوى خمسة معاهد للتمثيل والموسيقى ومدرستين للباليه ولم تكن الأغلبية العظمى من ممثلي الكوميديا لتنعم بأي تعليم فني خاص . وما كانت مدرسة هواة الموسيقى بموسكو ولا الأستوديوهات القليلة التي أنشأها كبار الفنانين لتستطيع حل مشكلة إعداد ممثلين ناشئين للمسارح الدرامية الجديدة ، ومن أجل هذا كان عدد كبير من الممثلين ذوي المواهب الفطرية يكتسبون المعارف الفنية التي لا بد منها لمهنتهم والوسائل المهنية للقيام بأدوارهم اقتباساً لكبار



منظر من مقدمة اوبرا « الأمير ايجور » التي عرضت بمسرح بولشوي

الممثلين ، وكانت هذه الدراسات تجرى في ظروف عصيبة فإن هؤلاء الممثلين الناشئين ، سعياً وراء كسب قوتهم ، كانوا يضطرون إلى التنقل من مدينة إلى أخرى ويحفظون أدوارهم في عجالة ومع ذلك إلا يستطيعون أداءها إلا بمعونة الملقن ، ولم ينجح منهم ممثلين بمعنى الكلمة إلا أولئك الذين أعانتهم مواهبهم من ممثلي المسرح الاقليمي على النجاح في حين ظل الآخرون طول حياتهم مجرد هواة للفن .

أما اليوم ، فتوجد في روسيا عدة معاهد عالة أنشأتها الدولة لتعليم التمثيل وإعداد ممثلين للمسارح الغنائية والدرامية ، فهناك إثنى عشر معهداً للفن المسرحي في موسكو ولينينجراد ، وكييف ، وخاركوف ، وتيبليس ، وباكو ، وطشقند ، وايريفان ، ومنسك ومدرستان ثانويتان للمسرح والفنون التطبيقية ، وعشرون معهداً للمسرح والموسيقى ومعهداً لتخريج أساتذة للموسيقى ، وإحدى عشرة

مدرسة لفن إدارة المسارح وثمانية لفن ترتيب المسارح ومناظرها بجوار مدارس الموسيقى الموجودة فى كبريات المدن فى الاتحاد السوفيتى ، ومن جهة أخرى يوجد فوق هذا ، مائة مدرسة للموسيقى ، ونحو عشرين مدرسة ثانوية للموسيقى أيضاً — إلى جانب معاهد التمثيل والموسيقى — لتعليم الأطفال الموهوبين ونحو ٧٠٠ مدرسة للأطفال من سن السابعة .

فما هى هيئة التدريس بهذه المؤسسات العلمية ؟ . . وما هى العلوم التى تدرس بها ؟

لنأخذ على سبيل المثال « معهد لونتشرسكى للفن المسرحى بموسكو » وإلى جانبه ثلاث معاهد ، للتمثيل والإخراج وتاريخ المسرح ، وأربعة استوديوهات أصلية للتمثيل ، وتنتظم كلية التمثيل قسمين : أحدهما لتخريج ممثلين للمسارح الدرامية ومسارح الكوميديا الغنائية ، والكلية الثانية لتخريج المخرجين المسرحيين

للمسارح الدرامية وأساتذة الباليه . والذين يتمون تعليمهم فى كلية تاريخ المسرح يحصلون على مؤهلات تمكنهم من إدارة الأقسام الأدبية أو تدريس التاريخ المسرحي ونقد المسرح ، والتحرير المسرحى ، وقيادة الرحلات المسرحية ، أو أن يكونوا مساعدين علميين فى متاحف المسرح . ولا يقبل المعهد إلا الطلاب الحاصلين على الدراسة الثانوية ، على أنه لا بد للمتقدمين للالتحاق باجتياز امتحاناً فى المعارف العامة ، فمثلا المرشحون للالتحاق لكلية التمثيل عليهم فوق الدراسات التمثيلية أن يلقوا بعض الأساطير ، وبعض المحفوظات ، وقطعاً من النظم والنثر .

أما الراغبون فى الالتحاق بكلية الإخراج ، فإنهم يمتحنون فى معلومات تتعلق بفنهم ، وعليهم أن يقدموا توضيحاً ، أمام الممتحنين عن طريقتهم فى اخراج مسرحية بالذات وعلى

المتقدمين لدخول كلية تاريخ المسرح أن يكتبوا نقداً عن بعض المشاهد المسرحية .

ومدة الدراسة أربع سنوات فى كليـــة التمثيل وخمسة فى الكليات الأخرى .

وتشمل المناهج والبرامج الدراسية ، العلوم الاجتماعية والفلسفية وتاريخ الفنون والآداب (تاريخ الأدب الروسى والأجنبى ، للمسرح والفنون التشكيلية والموسيقى والباليه) والمواد الخاصة والإخراج وفن التمثيـــل والماكياج والحوار والحركات المسرحية والرقص) .

وتضم هيئة التدريس فى مدارس التمثيل ، أقطاب الفن المسرحى السوفيتى ومشاهيره من فنانى شعب الاتحاد السوفيتى ، م. كيدوف ، ب . زافادسكى ، ل . زديوف ، ا يويوف ، ح . يورا ،

م . كورشيليمتسكى ، ف . فادراشيان وغيرهم . كما تضم مشاهير النقاد ومؤرخى المسرح ، وفضلا عن المحاضرات والدروس التى تلقى من حين إلى آخر فهنالك دروس عملية لتنفيذ مختلف مشاهد المسرحية و « تابلوهاتها » ومناظرها .

وعلى طلاب كلية التمثيل أن يمثلوا فى نهاية الدراسة ثلاث مشاهد أو أربع أمام لجنة الامتحان التى تعينها الدولة قبـل أن تقرر صلاحيتهم للتمثيل وتقدر مدى نجاحهم .

أما طلاب كلية الاخراج فيرسـلون بعد اتمامهم الدراسة النظرية ، إلى مختلف المسارح ، ليتولوا إخراج بعض المشاهد ليحصلوا على الدبلوم ، بينما يطلب من طلاب كلية تاريخ المسرح مؤلفات من مختلف المسارح الدرامية أو عن المناظر أو الممثلين .

وتخرج معاهد الموسيقى رؤساء الأوركسترا ، وللعازفين ،

وأعضاء وقادة الأوركسترا الموسيقية المسارح الغنائية، ولا تقبل هذه المعاهد طلابها إلا الذين تخرجوا من المدارس الثانوية الموسيقية وأثبتوا أثناء دراستهم كفاية ممتازة ، وهناك ألوف من المغنين والعازفين وقادة الأوركسترا من العمال غير المحترفين والمستخدمين والعمال الزراعيين أظهروا مواهب فنية كثيرة أثناء دراستهم فى مدارس الموسيقى ، أو فى المدارس الثانوية الملحقة بمعاهد الموسيقى مما أهلهم للالتحاق بمعاهد الموسيقى العالية .

ولنأخذ على سبيل المثال الكسندر أو جنيفنسيف المطرب الموهوب فى « المسرح الكبير » فى الاتحاد السوفيتى . فان فى تاريخه ، وحياته الفنية عظة وعبرة للشباب ، فقد ولد فى أسرة كان عائلها ميكانيكياً للقاطرات، واشتغل فى النقل الحديدى ، واشترك فى نادى للفنانين الهواة ، ففتحت مواهبه الفذة، وملكاته الخارقة ، أبواب مسرح « كيشينيف » الموسيقى أمامه ، و بعد أن أتم دراسته

دعته فرقة « المسرح الكبير » فى الاتحاد السوفيتى ليكون بين أسرته ، وكثيرون مثله من الفنانين الهواة انحدروا من مثل بيئته وأصبحوا أعلاما يشار إليهم بالبنان مثل سيرجوى ليبنشيف ، ونتاليا سكولوفا ، وفيرافيرسوفا ، وكثيرون غيرهم ، ولقد اشتهرت المدرسة الروسية للبالية الكلاسيكى عبر العالم كله ، وتألق اسمها فى الآفاق ،

ويتعلم فنان الباليه فى مدارس إدارة المسرح التابعة للمسرح الكبير ، ومسرح الأوبرا والباليه فى « لينينجراد » كما يتعلمون فى مدارس طشقند وكيف ومنسك . وريجيا ، وباكو واريتان ، وآلما آتا ، وتالين ، ومولوتوف . وتبدأ دراسة فنانى البالية من سن السابعة وفى مدارس إدارة المسارح يتلقى التلاميذ من بنين وبنات معلومات ثانوية عامة ويدرسون خلال ست سنوات الرقص الكلاسيكى ، والرقص التعبيرى . والموسيقى ، وتاريخ الأدب المسرحى ، وآداب الباليه وغيرها .

ويرسل الناجحون فى هذه المدارس للعمل بالمسارح ،

والمؤسسات الموسيقية ، وفى خلال الخمس سنوات الأخيرة أجازت معاهد التعليم فى البلاد اكثر من ألفى ممثل دراماتيكى ومخرج مسرحى ، وأكثر من ألفين من فنانى الباليه ، وأكثر من ٥٥٠٠ مغن وموسيقى وقادة فرق اوركسترا ومما يجدر ذكره أن أكثر من نصف هؤلاء الفتية من الفنانين ليسوا من أبناء الأمة الروسية الأصلاء بل من أبناء الشعوب والجمهوريات الفيدرالية والمتمتعة بالحكم الذاتى فى الاتحاد السوفيتى .

وماعليك إلا أن تدخل على سبيل المثال معهد «لونا نشارسكى» للفن المسرحى فى موسكو ، فتستمع طلابا يتكلمون بلغاتهم الأصلية ليس فقط من أبناء أوكرانيا وروسيا البيضاء ، وجورجيا وأرمينيا واستونيا ، وليتونيا ، وليتوانيا ، وأذربيجان ، والخزق ، وأوزبيك وتانبيك وكيرجس ومولدافيا ، بل سنسمع صينين وألمان ، وكوريين وبولنديين وتشيكيين ورومانيين وبلغاريين وألبانيين وغيرهم يتكلمون بلغاتهم الأصلية ومع أن هؤلاء وأولئك يتلقون دروسهم جنباً إلى جنب مع الروس . غير أن في هذا المعهد ستوديوهات

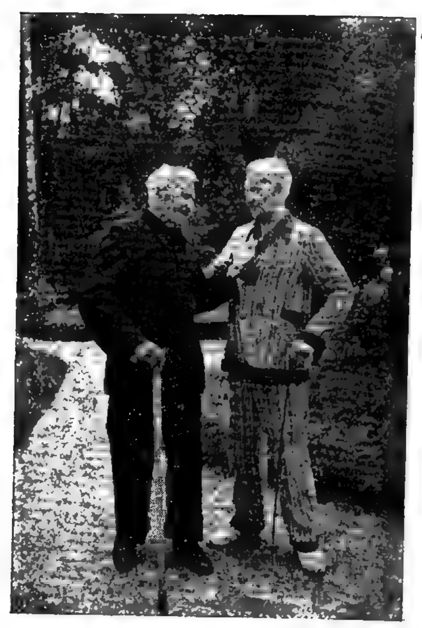
أهلية تنفذ فيها المشاهد التمثيلية باللغات الأصلية لهؤلاء الطلاب وقد أجاز المعهد فى خلال السنوات الأخيرة خمسة استوديوهات أحدها فى ليتوانيا ، والثانى فى ليتونيا ، والثالث من الخزق، والرابع من التركمان ، والخامس من التتر ، وهذا المعهد بسبيل هيئة ممثلين للمسارح القومية فى قفقازيا ، و باشارى وداغستان ، وكردا

وترى فى مدارس التمثيل الأخرى ألوانا من الجنسيات المختلفة فهى تضم طلابا ينتسبون إلى ٤٤ جنسية ، وكثير منهم من البلاد الأجنبية .

ويتلقى جميع طلاب مدارس التمثيل إعانات من الدولة شأنهم فى ذلك شأن طلاب جميع المعاهد العلمية العالية والثانوية الخاصة فى الاتحـــاد السوفيتى (وتتفاوت هذه الإعانة بين ٢٢٠ ٢٣٠ روبل) وتزاد هذه الاعانة لأولئك الذين يحرزون تقدما ملحوظا ، فقد بلغ من ٤٠٠ — ٨٨٠ روبل فى الشهر ، والطلاب القادرون من بلاد أخرى ، يسكنون فى مساكن تتوفر فيها أسباب

الراحة والصحة ، وتنظم الهيئات النقابية للطلاب خلال فترة أجازة الشتاء أو الصيف بصفة خاصة ، إقامة طلبة فى مساكن اللاستجمام وفى المصحات وللطلاب حق الدخول المجانى فى حفلات العرض العامة وحفلات العرض الأولى التي تحجز عادة لممثلى الرأى العام سواء فى ذلك المسرحيات الجديدة أو الروايات الغنائية أو الحفلات الموسيقية الجديدة .

ويشهد مشروع السنوات الخمس للنهوض بالمرافق فى الاتحاد السوفيتى ، على أن الدولة أولت عنايتها الكبيرة للمشتغلين بالمسرح وقد وجد تكوين هيئة المسرح مكانا بين الفروع الأساسية فى الاقتصاد الموسيقى والثقافى ، ويتبين هذا من تكوين العناصر الفينة الجيدة للمسرح السوفيتى التى تهتم بها الدولة والشعب معا ، لأن هذه الهيئة تحدد فى النهاية تطور ومستقبل المسرح السوفيتى .



الممثل الكبير أناتول جارسكى البالغ من العمر ١٠٣ سنوات ويرى
(إلى اليسار) وهو يتحدث إلى ميكائيل ماريال الذى قضى ٥٠ سنة
ممثلا ومخرجا فى المسرح السوفيتى

الفصل السابع

المركز الاجتماعى والمادى للمشتغلين بالمسرح وحقوقهم

يشق على الإنسان أن يتخيل الحياة المرة التى كان يحياها الممثلون الروس أ و أ كثرهم من ممثلى الأقاليم فى روسيا القيصرية والمسرحيات الكلاسيكية التى وضعها ا . آوستروفسكى وقدم لنا فيها الشخصيات الخالدة على وجه الزمن : كروتشيينا وشماجا ونجينا وبيزناموف ونيسشا ستليفنتيف وروبنسن من ممثلى القرن التاسع عشر مصوراً فى إبانة ووضوح ما كان يلقاه هؤلاء الفنانون فى ظل الحكم الروسى المطلق القديم من عذاب ومذلة اجتماعية وتشرد أبدى .

ونحن لكى يتسنى لنا أن نكمل هذه الصورة الرائعة لممثلى الأقاليم فى العصر القيصرى كما صورها أوستروفسكى ، نضع على

عتبات القرن العشرين ممثل البؤر المجهول الذى خلقه ماكسيم جوركى والذى صوره قانطا من الاهتداء إلى « المدينه » التى تجد فيها الروح المريضة علاجها الذى تشفى به ، والتى يجد فيها المرء ما يرد إليه الإيمان بالحياة .

والممثل السوفيتى مواطن له نفس الحقوق التى لكل مواطن آخر ، وعمله كعمل الآخرين مبعث المجد والشرف ومصدر شجاعة و بطولة . ولقد عرف ممثلو المسرح السوفيتى فى سنوات الحرب الأهلية والتدخل الأجنبى بدفاعهم المجيد عن الحرية والاستقلال ووقوفهم إلى جانب الشعب الثائر وفى مستهل عام ١٩١٩ خرج نحو ألف ممثل من مسارح بتروغراد إلى جبهة القتال وتألفت فى كل فرقة من فرق جيش الثوار تقريبا مسارح ميدان كانت أشبة بمدارس لتعليم الجنود .

وسرعان ما تكونت فرق من ممثلين ذوى طراز جديد على

نهج سوفيتى فى الحياة ، استطاعت أن تبدى نشاطاً اجتماعياخارقا فى عملها الخالق .

وقد انتخب الشعب مشاهير الفنانين أمثال ا . ك ناراسوقا ، ن . ك . تشركاسوف ، ول . ب الكسندرو فسكايا ، ا . ا . خوراقا ، ا . كرلماميدوف وغيرهم نوابا عنه فى مجلس السوفيت الأعلى ، كما انتخب مئات من الممثلين والمخرجين والمصورين نواباً فى السوفيت الأعلى عن الجمهوريات الفيدرالية وفى مجالس السوفيت المحلية .

وعهد إلى نوابغ الفنانين بإدارة كبريات المسارح فى البلاد فاختير م . تساريف فنان الشعب السوفيتي مديراً لمسرح «مالى» كما اختير ك . سكور بوجاتوف الفنان الشعبى العظيم مديراً لمسرح «مالى» كما اختير ك سكورو بوجاتوف الفنان الشعبي العظيم مديراً لمسرح « بوشكين الدارمى » بلينينجراد وعينت ا . ا. تابلوتشكنا عيدة الممثلات الروسيات منذ سنوات عديدة الرئيسة الدائمة لجمعية المسرح الرومي .

ولقد تحولت أعياد المسرح السنوية إلى أفراح شعبية . فى العيد الخمسينى للمسرح الفنى فى موسكو والاحتفال بذكرى مرور مائة وخمسة وعشرون سنة على تأسيس المسرح الكبير تجلى حب الشعب وحماسه لأقطاب الفن المسرحى السوفيتى وأعلامه . ولقد نظمت أروع الاحتفالات فى الذكرى المائة الثانية لمسرح فولكوف فى باروسلاف والذكرى المائة والخمسين لمسرح جوركى الدرامى الاذربيجانى فى اذيز بيكوف والذكرى العشرين لتأسيس مسرح ستالين التركانى الدرامى وغيرها من المسارح المماثلة ، وأقيمت احتفالات عظيمة فى أيام أخرى عظيمة مماثلة .

ولقد منح اسمى لقب لفنانى الشعب السوفييتى لنحو مائة ممثل ومخرج ونال مراتب الشرف عدد آخر من المشتغلين بالمسرح فى حين قلد أوسمة أو منح مداليات الاتحاد السوفيتى أكثر من أربعة آلاف ممثل ومخرج وقائد اوركسترا وأستاذ باليه ومصور مسرحى .

وفى عام ١٩٣٩ قررت الحكومة السوفيتية منح جائزة ستالين لخير المؤلفات الأدبية والانتاج الفنى ، ومنذ ذلك الحين ظفر بجائزة ستالين عدد كبيرمن مؤلفى الدراما والمخرجين والممثلين ومؤلفى الأغانى وأساتذة الباليه والمصورين عن المسرحيات أو الاوبرات أو المناظر والباليه أو الديكورالذى استحق هذه الجائزة وادخلت تغييرات جوهرية فى شروط العمل وفى المركز المادى للفنانين . فنى سنة ١٩٣٠ شرع فى تحويل المسارح المحلية إلى مسارح دائمة فتاح للممثلين الذين كانوا حتى ذلك الوقت يبدأون موسمهم التمثيلى فى مدينة غير التى كانوا فيها فى الموسم السابق . نقول لقد تسنى لهؤلاء المثلين أن يستقروا فى مسرح معين . و بذلك انتهت مرحلة المسرح الأقليمى . فلم يعد للمسارح دور دائمة فحسب بل أصبحت لها إدارتها الفنية المستمرة وفرقتها الدائمة وفى عام ١٩٣٩ اتخذت الحكومة السوفيتية قرارها الحاسم بحل مشكلة أجور الفنانين و بموجب هذا القرار أصبح مكفولا للمشتغلين بالمسرح مرتبات شهرية مضمونة وحددت فئاتها حسب كفاية

الممثل وقسمت جميع المسارح إلى أربعة أنواع من التعريفات وحددت بموجبها رواتب ممثلى الدراما والاوبرا والكوميديا الغنائية والباليه وأجور أفراد جوقة الموسيقى والأراجوز وأفراد أوركسترا الاوبرا وأوركسترا المسرح الغنائى وأوركسترا المسرح الدرامى وحددت مرتبات جميع أفراد الإدارة الفنية كذلك والإدارية والموظفين الفنيين فى المسرح

وأصبح جميع الممثلين خاضعين لتعريفات معينة ، ومحددة رواتبهم المضمونة .

فما هى هذه المرتبات ؟

فى المسارح الدرامية يتناول ممثلوا الطبقة الأولى مرتبات تتراوح بين ٩٨٠ ، ١٥٠٠ روبل فى الشهر ، متمشية مع طبقة التعريفة المحددة للمسرح التابعين له .

وفى مسارح الأوبرا والكوميديا الغنائية يتناول ممثلوا الطبقة الأولى أجوراً تتفاوت بين ١٠٠٠ ، ٢٥٠٠ روبل فى الشهر .

وفى كبريات المسارح فى العاصمة يتناول الفنانون مرتبات تتفاوت بين ٤٠٠٠ روبل فى الشهر (للمسارح الدرامية) ، ٥٥٠٠٠ روبل (لمسارح الأوبرا) .

ولممثلى جميع هذه الفرق أدواراً شهرية أو بمعنى آخر عدداً من المشاهد يجب عليه أن يظهر بينها ، ويقوم بدوره فيها .

وتتوقف عدد هذه الأدوار على طبقة المسرح وطبقة الممثل وكلما ارتفعت الطبقة ، قلت الأدوار ، وهناك أدوار تحدد بطريقة شخصية بالنسبة لكبار أساتذة المسرح ، وهى من ٦ إلى ١٠ مرات فى الشهر ، وأجر الممثل مكفول حتى ولو لم يقم بعدد الأدوار فى الحفلات والاستعراضات الفنية . غير أنه لو تجاوز الرقم فإن الفنان يتناول أجراً إضافياً يحدد بنسبة مرتبه الأصلى إلى عدد الأدوار المفروض عليه القيام بها فى الشهر ، وتضاف هذه الأجور الإضافية إلى مرتبه الأصلى .

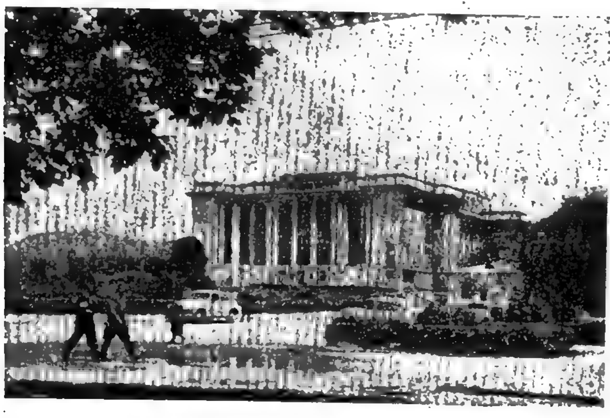
وللممثل إذا أعيد دوره فى حفلة أو فى الراديو أو فى

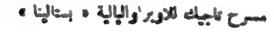
التليفزيون ، أو فيلم أوسجل على اسطوانة أن يتناول أجوراً عن كل هذه الحالات ، وبهذا يتاح للممثلين أن يزيدوا دخلهم زيادة ملحوظة يوما بعد يوم ، وشهرا بعد شهر .

وتعنى مجالس السوفييت المحلية بضمان مساكن طيبة للمثلين ، كما أن لكثير من المسارح منازل للاسكان تخصص فيها للفنانين والمشتغلين بالمسرح شققاً ليسكنوا فيها .

ومع أن عمل الفنان تحدده اللائحة الداخلية للفن ، فإن من الواجب ألا يتجاوز وقت العمل ثمانى ساعات فى المسرح ، على أن تتصل بين الحفلات النهارية ، والمسائيـة ثلاث ساعات أو أربع ، ويتلقى الممثل الذى يقوم بدور فى مشهد من المشاهد المسرحية ملابس المناظر ومنتجات الماكياج وغيرها من لوازم قيام الممثل بدوره مجاناً .

وليس عليه أن يدفع أى نفقات نظير اشتراكه فى التمثيل





مسرح تاجيك للاوبرا والبالية « بستالينا »

فإن على المسرح أن يغطى جميع هذه النفقات وتدافع نقابة المشتغلين بالثقافة عن المصالح الاقتصادية وحقوق المشتغلين بالمسرح وتلعب هذه الهيئة دوراً هاماً فى تنظيم هيئات العمل الاشتراكية الجديدة ، وتدعو الهيئات الثقافية إلى عقد مؤتمرات للانتاج تناقش فيها المقترحات التى تعرض للنهوض بالعمل فى المسرح .

ويتركز العمل الثقافى للنقابة فى دور (أندية) المشتغلين بالفنون حيث تنظم ندوات للفنانين مع ممثلى رجال العلم ، وفنون الآلات وموجهى المصانع ، والأخصائيين فى الزراعة ، ومع نفر من الكتاب ومؤلفى الأغانى ، والمهندسين المعماريين .

وتنظم دور أندية المشتغلين بالفنون محاضرات تتناول شتى فروع المعرفة وتدور خلالها مناقشات حول مشاهد المسرحيات وما يتخللها من حوازكما تدور مشاورات ومقترحات عن التمثيل والإخراج وعرض الصور والرسوم والإعانات الكبيرة وغير ذلك .

وتعنى الدار المركزية للمشتغلين بالفنون فى موسكو بصفة خاصة بجميع جوانب النشاط الفنى فى المسرح . وقد احتفلت هذه الدار بعيدها الخامس والعشرين فى الأيام الأخيرة .

وتضم هذه الدار أو هـذا النادى حوله رجال المسرح فى حاضرة السوفيت وتتمتع بتقدير عميق من كافة المشتغلين بالمسرح وتولى النقابة عناية فائقة وتخصص مبالغ كبيرة للتدابير الصحية الخاصـة بالمشتغلين بفنون المسرح . فتضم نحو أربعين مصحاً ومنزلا للراحة تابعة لنقابة المشتغلين بالثقافة فى القرم والقوقاز وفى مراكز العلاج الأخرى بالاتحاد السوفيتى . ويجد المشتغلون بالمسرح فى هذه المصحات وفى دور الاستجمام مقاماً طيباً بدون مقابل أو مقابل أجور زهيدة . ولا يزيد مايدفع فيها عن ثلاثين فى المائة من أجورها . ويقضى أطفال الفنانين عطلة الصيف فى متعة بالغة ومرح برىء فى « معسكرات رواد المسرح » .

ويتقاضى الممثلون في حالة عجزهم المؤقت عن العمل — مثلما يتقاضى المشتغلون بالفنون — إعانة من التأمين الاجتماعي للدولة. وتتمع النساء الحوامل — فضلا عن الاجازات السنوية التي يدفع أجرها وينتفع بها كل المشتغلين بالمسرح — أجازة مدتها ٧٧ يوماً تدفعها إدارة التأمين الاجتماعي .

ويتلقى بعض الممثلين من أصحاب الأجور الضئيلة إعانة عند ما يولد لهم طفل جديد . وللمسنين من الممثلين معاش سنوي له قيمته .

وقد نظمت الجمعية المسرحية في الاتحاد السوفيتي منازل لقدماء رجال المسرح ، وتكفلت بنفقات المأكل والمقام فيها .

ولو أنك زرت عميد الممثلين القدامى أناتولى جورسكى البالغ من العمر ١٠٣ سنوات في مسكنه بسوكولنيسكى في

موسكو — لأدركت تمـاماً مدى الرعاية التى توليها حكومة السوفيت للمسرح ورجاله والتأمين الذى فرضته لتكفل لهم حياة مستقرة كريمة .

الفصل الثامن

المبادلات الدولية

عرف الشعب السوفيتي منذ قديم الازمان بكرم الضيافة ، فالحفاوة بالوافدين اليه إحدى تقاليده العريقة المتوارثه ، ويرحب الشعب السوفيتي في اغتباط بضيوفه الأجانب .

وفي عام ١٩٥٣ استقبل السوفيت اكثر من ١٠ آلاف شخص اقبلوا من بلدان شتى ، جاءوا من ثلاثة وسبعين بلداً ومهرجانات الأفلام الصينية والهندية والمجارية والبولندية والتشكية والألمانية ومعارض الفن التشكيلي الهندي والفنلندي والنرويجي والتشكي وحفلات رجال الموسيقى من الانجليز والبرازيليين واليونانيين والفنلنديين وفناني النرويج والسويد كل ذلك أثار في نفوس الشعب السوفيتي اهتماما كثيراً بثقافات البلدان القريبة والبعيدة و بفنونها .

ولقد اعجب ألوف والوفامن السوفيت الذين ترددوا على المسارح الكبرى فى موسكو ولينتجراد وكييف وتيليسى وابرنيان وطشقند وسوتسى بأساتذة الفن الهندى ، اولئك الذين قدموا لهم روائع الثقافة الهندية القديمة والزاخرة بأعظم المعانى .

ولا تزال الأيام التى استقبل فيهـا مسرح « مالى » أبطال أقدم مسرح فى فرنسا « الكوميدى فرانسيز » من الأيام الخالدة فى تاريخ المسرح السوفيتى .

وتعد هذه الحفلات التى يقوم بها فى موسكو أبطال مسارح وارسو وصوفيا و براغ وحفلات الموسيقى التى يعرض فنهـا ألوان من الغناء والرقص فى كوريا والبانيا وهنغاريا و بولندا وتشكوسلوفا كيا ورومانيا من الأعياد الفنية التى توثق أواصر الصداقة والمحبة بين هذه الشعوب والاتحاد السوفيتى .

ولقد رحب أهل موسكوأجمل ترحيب وأكثر حماسة برسل شعب الصين العظيم وهم يمثلون على مسرح الاتحاد السوفيتى الكبير ، و يرقصون و ينشدون نشيد الجيش الشعبى لتحرير الصين.

وكانت حفلات الموسيقى التى أقامها فنانو الجمهورية الديمقراطية الألمانية والمغنون والموسيقيون من الانجليز وأبناء السويد و يوغسلافيا وغيرهم من أبناء الشعوب الأخرى الكثيرة — حفلات ناجحة كل النجاح فى الاتحاد السوفيتى .

ولا يزال أبناء السوفيت يذكرون تماما الحفلات التى أقامها فى موسكو المغنى الأسود پول روبيسون ونالت إعجابهم واستحسانهم ولا يزال يرقبون فى لهفة الوقت الذى يتاح لهذا المغنى الأسود زيارة بلادهم مرة أخرى .

ولقد انتقل أيضا رجال المسرح السوفيتى وفنانوه ، وانتقل نفسه إلى الخارج فكان أولئك الفنانون سفراء للسلام والمحبة واستطاع الناس فى الهند والصين و بولندا وانجلترا وتشكوسلوفاكيا وفرنسا وكوريا وفنلندا ورومانيا وكنداو بلغاريا والأرجنتين وألبانيا واليابان وهنغاريا واليونان وألمانيا واورجواى استطاع أبناء هذه الشعوب أن يشاهدوا فن ممثلى الاتحاد السوفيتى ولقد زارت البلدان الأجنبية — فرق من المسرح السوفيتى

نخص منها بالذكر فرق مسرح « مالى » ومسرح فاختانجوف ومسرح بوشكين بلينتجراد ومسرح موسوفيت ، بموسكو ومسرح فرانكو الاوكرانى بكييف ومسرح ستانيسلافسكى ونيميروفيتش - دنتشنكو بموسكو ومسرح مايا كوفسكى بموسكو وغيرها .

وكانت أهم رحلة فنية تلك التى نظمتها فرقة فنانى البولشوى بموسكو ولينتجراد لزيارة برلين فى ربيع عام ١٩٥٤ وكانت الحفلات الموسيقية لهؤلاء الفنانين وعلى رأسهم الفنانة الذائعة الصيت جالينا اولانوفا عيداً حقيقياً للثقافة المسرحية .

وحينما ولى فنانو الاتحاد السوفيتى وجوههم قبل الشرق والغرب خدموا بفنهم الرائع القضية السامية : قضية السلام بين الشعوب ، وكلما احسنت الشعوب التفاهم فيما بينها ، وكلما ازداد أهلوها معرفة حياة بعضهم البعض وثقافتهم وفنونهم ، كلما زاد تعاطفهم وتوادهم وقويت بذلك إرادتهم وتدعم عزمهم للنضال من أجل إقرار السلام فى العالم .